موسم سقوط البرتقال

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

اسم العمل : موسم سقوط البرتقال
اسم المؤلف: أسماء كرم
التدقيق اللغوي: ريهام مصطفى
تصميم الغلاف: محمد وحيد
الإخراج الداخلي: عمر أسامة
رقم الإيداع: ٢٦٥٤٦ / ٢٠٢٤
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٩٩٩-٧٤-٧

مَسَار للنشر و التوزيع
شارع ونس - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية - مصر
01020439639
massar.pub1@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، ورقيًا أو إلكترونيًا، سواء بشكل كامل أو جزئي أو عرضه مجانًا عبر أي وسيلة وبأي شكل من الأشكال من دون الحصول على تصريح خطي من دار مسار للنشر.

موسم سقوط البرتقال

أسماء كرم

مَسَار
للنشر و التوزيع

إهداء

شكرٌ كبيرٌ إلى أشرف عوّاد

{١}

يناير ٢٠١٠:

٥:٠٠ صباحًا:

جلس على أحد المقاعد منتظرًا القطار الذي سينقذه من هذا الجحيم؛ الجحيم الذي أقحم نفسه فيه. رأسه تؤلمه بشدة من شدة التفكير. ظلّ يسُب ويشتُم حاله على ما فعله بنفسه وعلى اختياراته الخاطئة التي اتخذها وهو يعلم منذ البداية أنّها ستكون سبب ألمه ويأسه في الحياة، لن يستطيع أن يلقي اللوم على أحدٍ سواه. عندما كان شاردًا يفكر، قطع شروده صوتٌ أنثويّ رقيق ونبرة هادئة تقول:

– هل القطار المتجه إلى الفيوم سيتأخر؟

نظر إليها، وأجاب:

– ربما سيأتي بعد عدة دقائق!

ابتسمتْ وشكرتْه، ثمّ وقفتْ تنتظر.

ها قد وصل القطار. حمل حقيبة ملابسه وتوجه نحو القطار، صعد إليه وجلس على أحد المقاعد بجانب النافذة. شعر بقلقٍ شديدٍ عندما تحرك القطار.. هل هو حقًا عائدٌ الآن وفي طريقه للوصول إلى منزله؟

رحل قبل عدة سنوات وترك كلّ شيءٍ وراءه، لم يبالِ لأي أحدٍ سوى نفسه.. نفسه التي ألقتْ به في بحر الضياع، ظلّ يُبحر حتى استطاعَ النجاة، لكن نجاته ليستْ كافيةً لمداواة روحه التي ما زالتْ تتألم حتى الآن. يجول في خاطره العديد من الأسئلة: كيف

سيواجه عائلته بعد كل شيء فعله؟ كيف سيستطيع النظر إلى عينَيّ والده بعدما قسى عليه؟ هل سيسامحه والده أم لا؟ أيضًا هل سيستطيع أن يضم أخته الصغيرة بعدما تركها ورحل بينما كانتْ متعلقة به؟ يتمنى أن تسامحه عائلته على كل شيء فعله قبل ٨ سنوات!

كان شاردًا، وقطعتْ شروده الفتاة التي رآها قبل قليل عندما سألته عن موعد القطار المتجه إلى الفيوم؛ طلبتْ منه أن يبدل الأماكن؛ مقعده جانب النافذة وهي لا تستطيع أن تجلس عدة ساعات دون أن تستشق الهواء.

وافق، فنهض وجلس على مقعدها وجلستْ هي مكانه. أتى بائع العسلية وألقى على قدميها كيسَين من العسلية، فتحتِ الفتاة الأول وتناولته، ثم سلبتِ الكيس الآخر الذي على قدم الشاب. قالتْ له: «عذرًا لكن ضعفتُ أمامها!».

نظر لها بتعجبٍ، وقال:

- لا بأس.

بعد دقائق انزعج عندما شعرها لمس وجهه وهو يتطاير. نهض من مكانه، ثم طلب من رجلٍ شيخ يجلس أمامه أن يجلس مكانه. وافق الشيخ، وجلس هو أمامها والشيخ جلس جوارها.

ابتسم له الشيخ، وقال:

- لمن أنت ذاهب في الفيوم؟

- إلى عائلتي في الفيوم.

- من يراك لا يظن أنّك من الفيوم؛ لأنّ لهجتك تختلف عنهم.

- ربما لأنّي قضيتُ ٨ سنوات بالقاهرة؛ لهذا لهجتي تغيرتْ.

– أنا لستُ من الفيوم، إنّما من البحيرة، ولكنّي ذاهب إلى ابنتي؛ إنّها متزوجة من رجل في الفيوم، ومن حينٍ لآخر أذهب إليها عدة أسابيع. ما اسمك؟

– بدر.

– وأنا الشيخ صالح.

– سررتُ بمعرفتك يا شَيخ.

ألقى برأسه على المسند بعدما أنهى حديثه مع الشَيخ عن محافظة البحيرة وعاداتها وعن أبنائه، كاد أن ينام ولكن غضب حين أتى إلى وجهه كيس العسلية عندما ألقته الفتاة من النافذة.

فنظر لها بغضبٍ، وقال:

– ما الأمر؟ منذ صعودك إلى القطار وأنتِ تزعجيني، اهدأي قليلًا!

– عفوًا لم أكن أقصد إزعاجك.

قال الشَيخ:

– حقُّك عليّ يا بُنيّ، إنّها مثل اختك.

أردف:

– لم تتوقفي عن المشاغبة بعد! تبدين فتاة ناضجة، كم هو عمرك؟

– خمسةٌ وعشرون عامًا.

– ما شاء الله، ربي يبارك في عمرك!

– شكرًا يا شَيخ.

ألقى برأسه مرة أخرى ثم نام، ولم يشعر بحاله حتى سمع صوت الشيخ يوقظه ويخبره بأنّ القطار قد وصل. شكره، ونظر جانبه لم يجد أحدًا سواه، إنّه آخر مسافر في القطار! كيف لم يشعر بضجيج الناس عندما توقف القطار وذهبوا؟ يبدو أنّه كان في حاجةٍ شديدةٍ للاسترخاء من كل شيء، سافر بذهنه كما سافر بجسده .

كان منهكًا كثيرًا! حمل الحقيبة، ثم نزل مسرعًا قبل أن يعود القطار ويعود معه إلى المأساة التي هرب منها.

خرج من محطة القطار ووقف ينتظر أخاه (محمدًا)، سيأتي بسيارته ويصطحبه إلى منزل عائلته في مركز سنورس. عندما كان ينتظر أخاه رأى الفتاة المزعجة التي كانتْ تجلس في المقعد الذي أمامه بالقطار واقفة عند الطرف الآخر، ولكن فجأة أتتْ سيارة مسرعة واصطحبتها بالإجبار! نظر يمينًا ويسارًا ليتأكد إن رأى شخصٌ آخر ما حدث قبل قليل، ولكن يبدو أنّه لم ينتبه أحدٌ لما حدث سواه.

أتى أخوه (محمد) في تلك اللحظة، ركب إلى السيارة مهرولًا، ثم أخبره أن يذهب مسرعًا في ذات الاتجاه الذي ذهبتْ منه السيارة قبل قليل. بعد عدة دقائق، رأى تلك السيارة أمامه وبداخلها الفتاة. طلب من أخيه أن يتبع السيارة دون أن يلفتَ انتباه مَن في داخلها، بالفعل اتبعها حتى توقفتِ السيارة أمام إحدى المنازل المنعزلة عن القرى. أنزَلوا الفتاة بعنفٍ، ثم أدخلوها إلى الداخل وأغلقوا عليها المنزل جيدًا.

نظر (محمد) إلى أخيه بتعجب، ثم قال: «هيا نذهب، ما علاقتنا بتلك الفتاة؟ ولماذا ذهبنا وراءها؟».

نظر إليه بغضب، ثم قال: «كيف ما علاقتنا؟ يبدو أنّهم اختطفوها! رأيتُهم عندما أجبروها على الصعود إلى السيارة.. نعم، ليس لنا علاقه بها و.. وأيضًا فتاة مزعجة كثيرًا، ولكن إن كانتْ أختنا بمكانها هل كنا سنتركها ونذهب؟ إنّها حالة إنسانية، لم أكن أعرف

أنّك من سيقول هذا الكلام!».

– إنّك مُحق، ولكن يبدو أنّ هناك أمرًا خطيرًا؟

– نعم، ولهذا السبب يجب أن ننقذ هذه الفتاة، ربما يفعلون بها أمرًا سيئًا!

– حسنًا، ماذا تريد أن نفعل الآن؟

– أنت ستذهب بالسيارة إلى أقرب مركز شرطة وتخبرهم بكل شيء، وأنا سأبقى هنا أراقب هذا المنزل حتى تأتي ومعك رجال الشرطة.

– لا، لن أستطيع أن أتركك لحالك في هذا المكان.

– يجب أن يبقى أحدٌ هنا ليراقبهم؛ حتى لا تتعرض الفتاة للأذى.

– حسنًا، انتبه على حالك جيدًا وسآتي ومعي رجال الشرطة على الفور.

ذهب (محمد) مسرعًا، وظل (بدر) واقفًا ينتظر أمام المنزل يراقبه جيدًا. يوجد أمامه أربعة رجال كلّ واحدٍ منه يحمل بيده سلاحًا، شعر بالقلق على هذه الفتاة، ماذا فعلتْ معهم ليحتجزوها هكذا؟ من هذه الفتاة ليستأجر شخصٌ ما رجالًا مسلحين من أجلها؟ يبدو أنّه أمرٌ خطير. ولكن إن لم يرَهم، ماذا كان سيحل بها؟ عندما كان شاردًا يُفكر، شعر أنّ هناك شخصًا ما وراءه، كاد يلتفتُ ولكن لم يشعر بحاله إلا وهو في حجرةٍ ما ورأسه تؤلمه بشدة!

– ماذا حدث وأين أنا؟

– لا أعلم حقًا؟

– أنتِ هذه الفتاة المُزعجة والمختطَفة؛ التي كنتُ أراقب المنزل من أجلها!

– كيف عرفتَ أنّي مختطفة؟

– رأيتُ الرجال عندما أجبروكِ على الصعود إلى السيارة.

تساقطتْ دموعها من عينيها وهي تخبره أنّها لا تعرف ماذا يحدث ولماذا هي مختطَفة الآن، واعتذرتْ منه عن ما حدث له من أجلها.

قال:

– يبدو أنّ كل خطوة تُخطينها تكون وراءها مصائب! كنتُ أسمع دائمًا عن الإنسان «النحس»، ولكن للمرة الأولى ألتقي به.

نظرتْ له بغضبٍ، وقالتْ:

– هل أتيتَ لتُنقذني أم لتوبخني؟

– عذرًا ولكنّي حقًا مصدومٌ من ما يحدث الآن.

أردف:

– لا تقلقي، سيأتي أخي محمد بعد قليل ومعه الشرطة.

– كيف سيأتون؟ إنّك لا تعلم أنّهم استبدلوا المنزل الذي كنّا به قبل ساعة، يبدو أنّهم أدركوا أنّك علمتَ بأمرهم، وخشوا أنّك قد تكون أخبرتَ أحدًا ما بما شاهدته، فاحتجزوك معي هنا في منزل آخر ليس ذاته.

حدّقتْ عيناه من حديثها، وظل يصيح في غضبٍ، قائلًا:

– هل ما تقولينه الآن حقيقي؟ هذا يعني أنّهم لن يستطيعوا الوصول إلينا! لماذا أقحمتُ نفسي في هذا الأمر؟! يا ليتني ذهبتُ مع أخي وأخبرتُ الشرطة بكل شيء وأتوا هم لإنقاذكِ! هكذا الشرطة لن تستطيع الوصول إلينا أبدًا.. ليس أنتِ فقط المختطفة الآن، وأنا أيضًا معك!

– أعتذر على ما حدث لك، ولكن لم أطلب منك المساعدة.. تستطيع أن تخبرهم بأنّك لم ترَ شيئًا وأنّك مررتَ صدفةً أمام ذلك المنزل.

– بالفعل سأخبرهم وسيصدقون على الفور، هل تمزحين معي؟ إنّهم رجال عصابة وليستْ منظمة خيرية!

– ماذا أفعل الآن؟ أخبرني! أنا أيضًا لا ذنب لي في كل ما حدث، ولا أعلم حتى لماذا أنا مختطَفة، سألتهم عن سبب اختطافي ولم يجبني أحد.

تمتم (بدرُ) داخله: «يا الله! ماذا أفعل الآن؟ تركتُ كل شيءٍ في القاهرة وعدتُ إلى قريتي لأبدأ من جديد، ولكن لم أتوقع أن تكون هذه البداية التي سأعيشها، يبدو أنّك ما زلتَ غاضبًا منّي لأنّي فعلتُ العديد من الذنوب في حياتي الماضية، ولكنّي حقًا نادمٌ على كل شيء فعلته، لكن أيضًا أستحق ما أعيشه الآن، ربما تسامحني ذات يوم على أي شيء سيئ فعلته!».

وقف (بدر)، وظل يبحث عن أي مخرج يستطيعان الهروب من خلاله. ولكن لم يجد سوى نافذة حديدية شديدة الصلابة، حاول نزع الحديد لكن لم يستطع.

اتجه نحو الباب، ثم صاح بصوتٍ مرتفع، قائلًا:

– هل هناك أحدٌ ما ينصت إليّ؟

بعد عدة ثوانٍ، فتح رجلٌ ضخمٌ، وقال بنبرةٍ حادةٍ:

– لماذا تصيح؟ كن هادئًا! لا تجبرني أن أفعل معك شيء لن ينال إعجابك.

كاد يتحدث، ولكن قاطعته (سلمى)، قائلةً:

– من أنتم ولماذا أنا هنا؟ رجاءً أريد أن أتحدث مع الشخص المسؤول عنكم جميعًا!

أردفتْ:

– أيضًا لا أعرف من هو هذا الرجل ولماذا هو مختطَفٌ معي الآن!

أجاب الرجل الضخم:

– هذا الكلام أخبريه لرئيسنا عندما تلتقينه بعد عدة أيام، هو فقط من يستطيع أن يجيب على جميع أسئلتك.

أردف:

– ولن أستطيع أن أُخرج هذا الرجل من هنا حتى يأتي رئيسنا.

جلستْ (سلمى) على الأرض بعدما أغلق الرجل الباب مرة أخرى، ثم نظرتْ إلى (بدرٍ) بحزن، وقالتْ:

– رجاءً سامحني! لم أكن أريد أن أقحمك في هذا الأمر، ولكن كل شيء حدث معنا حدث دون رغبتنا.

– لا بأس، إنّه القدر من أتى بي إلى هنا، لا ذنب عليكِ؛ أنا من أردت مساعدتك منذ البداية.. ما هو اسمك؟

– سلمى عبد الرحمن.

– وأنا بدر محسن.

بعد دقائق من الصمت، سألها: «هل أنتِ من الفيوم؟».

– عائلتي من الفيوم، ولكن تركوها قبل ولادتي، وعاشوا بالقاهرة وولدتُ هناك.. هذه المرة الأولى التي آتي فيها زيارة إلى الفيوم.

- يا ليتكِ ما أتيتِ زيارة!

- نعم! ماذا تقول؟

- لا، لا شيء.

أردف:

- شيءٌ يُحيّر! لماذا اختطفكِ رجالٌ من الفيوم وأنتِ تزورينها للمرة الأولى؟!

- لا أدري، ليس هناك عداوةً بيني وبين أي إنسان!

قال:

- على كل حالٍ سنعلم عاجلًا أم آجلًا.

- إنّك محق.

أغلق (بدر) عينيه، ثم ألقى رأسه على جدران تلك الحجرة الفارغة؛ لا يوجد بها سوى أريكة واحدة.

قبل ٨ سنوات.. لم يستطع (بدر) أن يظلّ في قريته الصغيرة والمتواضعة؛ أراد دائمًا التحرر من هذه القرية. كان يستمع دائمًا لحديث أصدقائه عن القاهرة وجمالها، إنّهم يسافرون إليها دائمًا من أجل العمل. لا يريد أن يعمل مع والده في الأرض يزرعُ ويحصد، يرى أنّه لم يُخلق كي يعمل بالأرض مثل والده وإخوته. بل أراد دائمًا أن يصبح (بدر المدير)؛ الذي يرتدي بذلته، ويجلس في مكتبه الكبير والفخم، والجميع يلقبه بـ (أستاذ بدر).

رغبته بترك قريته كانتْ تزداد يومًا بعد يوم، لكن والده عارضه دائمًا؛ لأنّه أكبر إخوانه ولتعلقه الشديد به. لم يبالِ لرغبة والده بالبقاء أبدًا، بل ذا يوم حمل حقيبة ملابسه

في الصباح الباكر وترك كل شيء وراءه وذهب. حزن والده بشدة على ما فعله ابنه الكبير وأقسم أنّه لن يسامحه أبدًا، وأرسل إليه رسالة مع أخيه الأصغر (محمد) بأن لا يعود إلى منزله مرة أخرى وينسى أنّ لديه عائلة في الفيوم؛ فكيف استطاعَ أن يكون بهذه القسوة؟ تركه وهو بحاجة شديدة إليه! لكن ابنه لم يفكر سوى بحاله وحلمه.

وصل إلى القاهرة وسكن مع مجموعة من أصدقائه، ساعدوه في إيجاد وظيفة خدمات في إحدى الشركات، لم يقبل في البداية؛ كيف سيعمل بالخدمات وحلمه ارتداء بذلة فخمة وليس زي الخدمات؟ ألح عليه صديقه (أحمد) بأن يعمل معه بالخدمات حتى يوفر أموال ويستطيع أن يعمل في وظيفة جيدة فيما بعد.

ذهب معه رغمًا عنه، لم يكن مقتنعًا ولكنه أمل أن مع مرور الوقت يحصل على ترقية ويستطيع أن يصل إلى ما يريد. أول يوم له كان مثل الكابوس؛ ارتدى زي الخدمات باشمئزاز شديد، تنهد بعمق وحمل أدوات النظافة وبدأ بالعمل.

مرتِ الشهور وحاله كما هو؛ يذهب إلى عمله صباحًا، وفي المساء يستعير كتب تطوير الذات من صديقه. رغم أنّ (أحمد) كان مثله يريد أن يصبح في مكانة مرموقة، ولكن كان صابرًا وراضيًا وسعيدًا بوظيفته الحالية. إنّما (بدر) كان يكره وظيفته ويريد أن يتخلص منها بشتى الطرق، عِناده وغروره قد تحكموا به وبتصرفاته.

مرّ عام ولم يحدث أي تغيير في حياته، حاله كما هو عليه. ولكن أكثر شيء أحزنه وحطمه، حين حصل (أحمد) صديقه على ترقية وهو بقى كما هو يعمل بالخدمات. إدارة الشركة أعجبتْ بذكاء وجهد (أحمد) بالعمل فأصبح هو مدير قسم الخدمات، يشرف عليهم ويخبر كل واحد منهم ما يجب عليه أن يفعل. في هذا اليوم غضب (بدر) بشدة وتشاجر مع صديقه؛ سبّه وشتمه، وأخبره أنّه لا يستحق هذه الترقية إنّما حصل عليها لأنّه ينقل كل شيء يحدث بين الموظفين إلى الإدارة لهذا السبب حصل عليها، أنّه مثله حاصل

على شهادة الثانوية العامة؛ فلماذا اختاروه هو تحديدًا؟ لم يغضب (أحمد) منه؛ لأنّه يدرك جيدًا أنّ (بدر) نرجسي، وغروره سيقضي عليه ذات يوم. فأنصتَ له حتى هدأ، وأخبره أنّ صداقتهما يجب أن تنتهي.

ترك (أحمد) المنزل له، وبقى (بدر) في ذات المنزل هو واثنان من المستأجرين. أصبحتْ رؤية (بدر) لصديقه في نطاق العمل فقط. حقد وأنانية (بدر) أبعدته دائمًا عن أكثر أشخاصٍ أحبوه بصدقٍ في حياته.

ظلّتْ أيامه كالإيقاع الرتيب. حتى أتى هذا اليوم؛ عندما رأى (صفية) ابنة رئيس مجلس الإدارة. استطاع أن يلفتَ انتباهها حتى أصبحتْ ترمقه بنظرها عدة أسابيع، واهتمتْ بتواجدها في العمل من أجله.

لم تستطع أن تقاوم جماله؛ اسمه (بدر) وإنّه بالفعل بدر؛ اسمه يشبه وجهه، لون عينية كالمحيط، بشرته فاتحة، شعره بني فاتح، لديه لحية تليق بوجهه الدائري، طويل القامة وجسمه متناسق. تأثرتْ به عندما تحدثتْ معه ذا يوم حين طلبته لينظف مكتبها، حاولتِ التحدث معه دون أن تُظهر اهتمامها به، لكنّه أدرك جيدًا أنّها أُعجبتْ به، لم يحاول أن يشعرها بذلك.

ظلّتْ عدة أيام تطلب منه أن يهتم بنظافة مكتبها لأنّها أُعجبتْ بنظافته الجيدة، يستمع إلى أحاديثها ويموت ضَحِكًا عندما يلتفتُ بوجهه. ظلّتْ تقترب منه يومًا بعد يوم حتى نشأتْ بينهما علاقة حب فى السر. كان كل شيء بينهما يسير على ما يرام، حتى أتىً ذلك اليوم!

أفاق من حالة شروده فجأة، حين سمع صوت (سلمى) تنهار بكاءً. نظر حوله لم يجد سواهما في الحجرة، سألها:

– لماذا تبكين هكذا؟

أجابتْ في حنقٍ:

– كلما فكرتُ ماذا يمكن أن يفعل معي هؤلاء الرجال، أموتُ خوفًا.

– لا تقلقي لن يستطيع أيٌّ منهم إيذاءَكِ، سأظل جانبكِ.

– ولكن ما هو ذنبك لتتحمل ما يحدث معي؟

– هذا ما تربينا عليه، أن نحمي وندافع عن أيّ امرأة في حاجة إلى المساعدة، ماذا لو كانتْ أختي هي المختطَفة؟ هل كنتُ سأتركها؟

– لا.

– لذلك لا أريدكِ أن تقلقي، وتوقفي عن البكاء رجاءً! رأسي أصبح يؤلمني من صوت بكائك.

ابتسمتْ بيأسٍ، وقالتْ: «حسنًا».

في صباح اليوم التالي، استيقظ وجسده يؤلمه بشدة؛ لم يعتَد على النوم أرضًا، لا توجد سوى أريكة واحدة جعل (سلمى) تنام عليها ونام هو على الأرض. نظر تجاه الأريكة وجدها ما زالتْ نائمة، بعد عدة دقائق استيقظتْ عندما شعرتْ بآشعة الشمس تداعب وجهها. لفتَ انتباهه بريق لون عينيها العسلي عندما انعكستْ آشعة الشمس المتسللة من النافذة عليهما، شعرها بني ناعم يصل إلى أسفل ظهرها، شفتاها بارزتان، لون بشرتها حنطي، طولها متوسط، جسدها نحيف، ترتدي بلوفر بيج وكوفية زرقاء وبنطالًا جينز أزرق.

نظرتْ له بوجهٍ ناعس، وقالتْ:

- صباح الخير.

- صباح الخير لكِ أيضًا.

نهضتْ من على الأريكة، ثم كادتْ تقترب من الباب، لكنه أوقفها قائلًا:

- ماذا تريدين؟

- أريد أن أذهب إلى المرحاض.

- حسنًا، انتظري وسأخبر أنا هذا الرجل بذلك.

اقترب من الباب، وقال بصوتٍ مرتفع: «هل هناك أحدٌ يسمعني؟».

بعد لحظاتٍ فتح الرجل الضخم، وقال:

- نعم، ماذا تريد؟

- تريد أن تذهب إلى المرحاض.

- حسنًا، اتبعيني.

اتبعته واتبعها (بدر) أيضًا، ولكن التفتَ الرجل إلى الوراء وقال له:

- لماذا تتبعنا؟

- لن أتركها تذهب معك لحالها، سأنتظرها بجوار المرحاض.

- لا تقلق لن نفعل معها شيء، إن كنّا نريد إيذاءَها لفعلنا هذا من قبل.

ذهب الرجل ومعه (سلمى)، وقف ينتظرها أمام الباب من الداخل بعدما أغلق عليه ذلك الرجل، كان يشعر بالقلق الشديد عليها، ولكن اطمأن حين عادتْ بعد عدة دقائق. نظر الرجل الضخم له، ثم أعطى (بدر) صينية طعام وأغلق مرة أخرى عليهما.

ابتسمتْ (سلمى)، وقالتْ:

– شكرًا لأنّك خشيتَ أن يحدث معي شيءٌ سيئ، حقًا إن كان شخصٌ آخر مكانك لم يكن سيبالي منذ البداية لأمري، ولكنك بقيت جانبي دائمًا، أشكرك من كل قلبي على كل شيء!

– لا تقولي هذا الحديث، لم أفعل شيئًا، هذا واجبي.

أردف:

– من يراكِ للمرة الأولى لا يحبك، ولكن أدركتُ الآن أنّكِ لستِ كما تبدين، بل إنّكِ لطيفة، ولكن خطأكِ هو أنكِ لا تفكرين قبل أن تفعلي أي أمر؛ بل تفعلينه دون تفكير.

– من أين عرفت؟ أنا بالفعل هكذا!

– أستطيع قراءة البشر جيدًا.

تابع:

– هيا لنتناول الفطور.

– لا أريد أن أتناول شيئًا.

– حسنًا، كما تشائين.

جلس (بدر) على الأرض وأمامه صينية الطعام، تناول لقمة من طبق الفول الغارق بالطحينة، ثم قال:

– يالله، ما هذا الفول الرائع! أشعر أني أتناول كباب وليس فول.

نظرتْ له، وقالتْ ضاحكةً:

- هكذا تُغريني؟ حسنًا.

جلستْ أمامه، ثم بدأتْ بتناول الطعام وتراقب طريقته في تناول الطعام وتضحك، كأنّه يقصد أن يفعل حركات ليضحكها. هكذا هو (بدر)، لا يحب أن يلح على أي شخص ليقنعه بشيءٍ ما؛ إنّما يستطيع أن يقنعه بالفعل وليس بالحديث.

بعد انتهائهما من تناول الطعام، جلسا بجوار بعضهما وأراحا ظهرهما على جدران الغرفة.

قال:

- أخبريني الحقيقة، أعرف أنكِ تخفين عني شيئًا ما، ما سبب زيارتك للفيوم؟ ربما نستطيع أن ندرك من هو المختطِف؟

- حسنًا، سأحكي لك كل شيء دون كذب؛ لأني أصبحتُ أثق بك الآن. نعم لم يمر على لقائنا سوى يومان، لكن لحظة واحدة قادرة أن تجعلنا نثق في إنسان ما، أيضًا عُمر بأكمله لا يستطيع أن يجعلنا نثق بأحدهم.

قبل عدة سنوات:

حياتي كانتْ بسيطة وكل شيء رائع، كنتُ أعيش مع أمي وجدتي، أبى توفيَ قبل عدة أعوام، أمي وجدتي لم يشعراني أبدًا بفقدانه؛ كانا يفعلان كل شيء لإسعادي، حتى عندما قررتُ أن ألتحق بكلية الهندسة دعماني وظلّا بجانبي حتى تخرجتُ منها. أمي مديرة إحدى المدارس في القاهرة، لم تجعلني في حاجة إلى شيءٍ أبدًا. بعد تخرجي من الجامعة، توظفتُ في إحدى الشركات مهندسةَ ديكور. وهناك التقيتُ بـ (رامز) وأصبحنا أصدقاء، وبعد مرور عام صداقتنا تحولتْ إلى حبٍ دون أن نشعر، يومي كان لا يكتمل من دونه، كان كل شيء بيننا يسيرعلى ما يرام وكدنا نتزوج! ولكن قبل ثلاثة أشهر فقط علمتُ بالسر الذي

غير كل شيء في حياتي؛ هذا السر هو من جعلني أسافر إلى الفيوم. جدتي توفيَتْ قبل ثلاثة أشهر، ولكن قبل وفاتها كنتُ جالسة جانبها في فراشِها، مسكتْ يدي وقالتْ لي أنّي لستُ من القاهرة وإنّما من الفيوم، وأنّ اسم أبي في شهادة الميلاد ليس هو ذاته أبي الحقيقي؛ إنّما أبي الحقيقي قد يكون ما زال على قيد الحياة، وأنّ كل ما أخبرتني به أمي عن أبي ليس حقيقيًا؛ أنا لستُ سلمى عبد الرحمن ابنة رجل الأعمال الثري الذي توفيَ قبل أعوام؛ إنّما ابنة رجل آخر! ولدَيّ عائلة كبيرة تعيش في الفيوم. كاد قلبي أن يتوقف من حديثها! أشارتْ لي على مفتاح داخل درج الـ «كوميدنيو» ثم أشارتْ لي على خزانة ملابسها، تسارعتْ نبضات قلبها فجأة وتوقفتْ أنفاسها قبل أن تكمل لي الحديث. بعد وفاة جدتي ذهبتُ إلى غرفة أمي وأخبرتُها بكل ما علمتُه. أنكرتْ كل شيء وادّعتْ أنّ جدتي كانتْ تُخرّف قبل رحيلها، وأنّ حديثها معي في آخر لحظاتها ليس حقيقيّ، ويجب أن أنسى كل شيء أخبرتني به. لم أستطع أن أفعل كما قالتْ وأنسى ذلك الحديث، كيف سأنسى أنّ كل شيء عشته في حياتي كان كذبة وأنّ هناك حياة أخرى كان يجب أن أعيشها؟ لا أعلم لماذا أخفتْ أمي عنّي هذه الحقيقة! ولماذا أيضًا تعيش في القاهرة بينما هي من الفيوم! بعد إدراكي أنّها لن تتفوه بشيءٍ مهما حدث، قررتُ أن آتي إلى الفيوم بذاتي وأبحث عن ذلك السر! لكن قبل سفري ذهبتُ إلى حجرة جدتي وسلبتُ الصندوق وفتحتُه؛ لأعرف ما كانتْ تخفيه عني. وجدتُ عدة رسائل ذائبةً صعب قرأتها، وصورة لرجل يرتدي جلبابًا وعمامةً، لديه لحية كثيفة، مكتوب على ظهرها (عائلة الرضوان). لا أدري لماذا شعرتُ بشعورٍ عجيبٍ نحو هذه الصورة! في فجر يوم الاثنين ذهبتُ إلى محطة القطار وقررتُ السفر إلى الفيوم دون علم أمي؛ لأبحث عن عائلة الرضوان وأعرف الحقيقة. تركتُ لها رسالة قبل ذهابي:

للمرة الأولى أفعل شيئًا دون رغبتك يا أمي، لكن أنتِ من أجبرتيني على الرحيل دون علمك. إن كنتِ تحبيني كما قلتِ لاستطعتِ إخباري الحقيقة، لكنكِ أصررتِ أن

تخفي عني كل شيء؛ لذلك سأكون في طريقي إلى الفيوم الآن، هناك سأعلم الحقيقة التي أخفيتِها عني دائمًا، حقًا متلهفة أن أدرك من أنا ومن هو أبي الحقيقي ومن هي عائلة الرضوان!

ابنتك اليائسة: سلمى.

قال (بدر):

– هل ما زالتِ محتفظة بالصورة؟

– لا، فقدتها عندما اختطفني هؤلاء الرجال.

– حسنًا.

أردف:

– لم أفهم شيئًا؛ الأمر ازداد تعقيدًا، وأيضًا للمرة الأولى أسمع عن عائلة الرضوان!

– حقًا رأسي تؤلمني من شدة التفكير!

– لا تقلقي، سنعرف كل شيء.

– سنعرف! هل هذا يعني أنّك ستساعدني أن أجد عائلة الرضوان؟

– نعم.

قالتْ محافظةً على ابتسامتها:

– حقًا لا أعرف كيف أشكرك! ولكن يبدو أنّ الله أرسلك لي لتساعدني أن أصل إلى ما أبحث عنه!

– ربما.

قال (بدر):

– أخبرتيني قبل قليل أنّ لديكِ خاطب يُدعى رامز، أين هو؟ لماذا لم يأتِ معكِ؟

– لا تذكرني به، كان أكبر كذبة في حياتي! ذهبتُ إليه وأخبرتُه بكل ما حدث، ولكنه فاجأني حين قال أنّي لستُ مناسبةً له، أيضًا لا يستطيع أن يتزوج من فتاة لدى أمها خبايا؛ ربما أيضًا ليستِ امرأة جيدة وكانتْ تمثل المثالية علينا في سنواتها الماضية.

– ماذا فعلتِ حين قال هذا الكلام؟

– ماذا سأفعل؟ صفعتُه على وجهه وأنهيتُ الخطبة.

– أحسنتِ؛ هذا لا يستحق مشاعركِ الصادقة.

– وأنت، ما هي حكايتك؟

– كلّ ما أستطيع إخبارك به هو أنّي حاربتُ كل من كانوا في حياتي من أجل سراب، وعندما قررتُ أن أصحح أخطائي وأعود إلى قريتي وجدتُ حالي هنا محتجزًا معكِ في هذه الحجرة الملعونة.

أردف:

– لكن لا بأس؛ ربما أستحق كل شيءٍ يحدث معي الآن!

– لا تقسُ على ذاتك هكذا! الجميع يُخطئ، وتأكد أنه مهما كان خطأكَ سيسامحك الله على كل شيء.

***

بعد مرور يومان:

١٢:٠٠ صباحًا:

استيقظا على صوت فتح الباب، دخل أحد الرجال إلى الحجرة، لكنه ليس ذات الرجل الذي اعتادا رؤيته، إنّما رجل آخر! اقترب من (سلمى) ثم أمسكها من ذراعها بعنف، وكاد يصطحبها معه، ولكن نهض (بدر) على الفور، ثم أبعده عنها ومنعه من اصطحابها، وقال:

– لن تذهب إلى أيّ مكان من دوني، ماذا تريد منها؟

أجاب الرجل:

– هذا ليس من شأنك، هيا ستذهبين معي؛ رئيسنا يريد رؤيتك.

– لن تذهب معك من دوني في هذا الليل.

قالتْ:

– نعم، لن أذهب من دون بدر.

نظر الرجل إلى (بدر) بغضب، ثم اقترب منه ولكمه في وجهه بقوة، وأمسك ذراعها بعنف مرة أخرى وتوجها نحو الباب، لم يستطع أن يُكمل؛ لأنّ (بدر) لم يدعه يذهب مرة أخرى؛ بل اختلس من جيبه الأيسر سلاحه ثم ضربه على رأسه بقوة، وقع الرجل أرضًا، وصاح بغضب.

أمسك (بدر) يد (سلمى) وخبأها وراءه حين وجد ثلاثة رجال من العصابة أمامهم في الحجرة. خفق قلبها بشدة من رؤيتهم هكذا أمامها.

همس (بدر) في أذنها، قائلًا:

– أريدكِ أن تركضي إلى الخارج على الفور عندما أتشاجر معهم بعد لحظات.

- لا، كيف سأتركك؟ ربما يحدث معك شيء سيئ!

- لا تقلقي، ستجدينني وراءك.

بعد ثوانٍ، ركضتْ (سلمى) حين بدأ شجار كبير في الحجرة بين (بدر) والرجال، وقع السلاح من يد (بدر) وهو يتشاجر معهم، سالتِ الدماء من فمه بغزارة بعدما لكمه بقوة أحد الرجال أثناء الشجار. بعد دقائق من مقاومته للرجال، تجمد الدم في عروقه حين حمل رجل من أفراد العصابة السلاح من الأرض وصوبه تجاهه، كاد يطلق عليه النار، لكن انقطع التيار الكهربائي فجأة!

ركض نحو الباب كالنمر الذي يحاول صيد فريسته، أغلق عليهم باب الحجرة قبل أن يلحق به أيٌّ منهم. اتجه نحو باب المنزل الرئيسي، ثم ركض تجاه (سلمى) التي كانتْ تقف تنتظره على بُعد عدة أمتار.

نظرتْ له بقلقٍ حين رأتِ الدماء تنزف من فمه، قالتْ:

- هل أنت بخير؟

- نعم، بخير، انقطعتِ الكهرباء في الوقت المناسب؛ كادوا أن يقتلوني!

- أنا من قطعتها؛ لتستطيع الهرب.

قال:

- أحسنتِ.

أردف:

- هيا، ليس لدينا وقت، يجب أن نذهب من هنا قبل أن يلحقوا بنا.

مسك يديها، وركضا نحو الأرض الزراعية. بعد مرور نصف ساعة من الركض في

وسط الأرض، توقفتْ (سلمى) وقالتْ لاهثةً:

– لن أستطيع الركض أكثر من ذلك.

نظر (بدر) في أرجاء الأرض، وقال:

– حسنًا، يبدو أنّنا سنبقى هنا حتى الصباح.

أجابتْ:

– بالفعل يجب أن نبقى هنا، لن نستطيع أن نكمل السير في هذا الظلام.

جلسا أرضًا، ثم نزعتْ (سلمى) الكوفية ووضعتها على فمه ليتوقف النزيف. تساقطتْ دموعها وهي تعتذر منه على ما حدث له. استجمع قواه وأخبرها أنّ الأمر بسيط، وأنّها ليستِ المرة الأولى وأنّه معتاد على المصارعة.

– هل أنت مصارع؟

– نعم، أحمل لقب التوريرو؟

– ماذا يعني؟

– تعنى بالأسباني مصارع الثيران.

ضحكتْ بشدة، ثم قالتْ:

– لا أعرف كيف تستطيع المزاح وسط هذه الأحداث!

ابتسم، ثم نهض ونزع سترته ووضعها أرضًا لتنام عليها.. بدأتْ هي في النوم على الفور، بينما هو ينام ويستيقظ من حين لآخر. ابتسم حين استيقظ صباحًا، ورآها متشبثةً بيديه بقوة ولا تريد تركها أبدًا مثل الطفلة الصغيرة التي تخشى فقدان والدها. شعر بدفء

ونعومة يديها وهي تمسك يديه الخشنة، لكن يبدو أنّ يديه الخشنة هي من جعلتها تستطيع النوم بطمأنينة.

استيقظتْ حين أشرقتِ الشمس، تفاجأتْ حين رأتْ يديها متشبثةً بيديه، نظرتْ له بخجل واعتذرتْ له على ما فعلته أثناء نومها.

قال:

– لا بأس، هيا لنكمل السير؛ أخشى أن يعثر علينا هؤلاء الرجال.

بعد دقائق من السير في وسط الأرض الخاوية، انتبهتْ (سلمى) لتواجد منزل كبير على طرف الأرض، فألحتْ عليه بأن يذهبا إليه لأنّه قد جفّ حلقها وتريد احتساء الماء. تمهل لحظاتٍ، ثم أومأ برأسه إيجابًا.

وقفا أمام منزل كبير يتكوّن من ثلاثة طوابق، ويوجد مقعد خارجي أمامه وكأنّ أحدًا كان يحرسه. عندما طرق باب المنزل ولم يجبه أحد أدرك بأنّ سُكّانه ليسوا داخله، اقترب أولًا من جانب النافذة فوجدها مليئة بالغبار، حاول أن يرى إن كان هناك أحد بداخله ولكنه لم يستطع أن يرى شيئًا. اقترب من الباب، ثم سلب من شعرها «بنسة» ليستطيع فتحه. حاول عدة مرات حتى استطاع فتحه. دخلا إليه ولكن لم يستطيعا أن يرا شيئًا؛ لأنّ المنزل مظلم كثيرًا. بحثا عن الزر ليشعلا الأضواء، وأخيرًا عثر (بدر) على الزر. اشتعل الضوء، ولكن تفاجأ حين رأى المنزل فارغ من الداخل.

خفق قلب (سلمى) فجأة عندما نظرتْ في أرجاء المنزل!

قال:

– ما الذي حدث معكِ؟ لماذا أصبح وجهكِ شاحبًا؟

- لا أعلم، لكن يمتلكني شعورٌ عجيب تجاه هذا المنزل!

- لا توهمي نفسك، ربما لأنّه مغلق منذ وقتٍ طويل.

- ربما!

أردفتْ:

- انظر جيدًا إلى هذا المنزل، رغم أنّه فارغ، لكن جدرانه تبدو قيّمة، يوجد به شيء عجيب!

شعرتْ بالفزع حين سمعتْ صوتَ رجلٍ يقف وراءها، يقول:

- من أنتما وماذا تفعلان هنا؟

التفتا معًا إلى الوراء، وأجاب (بدر):

- عذرًا، باب المنزل لم يكن مغلقًا جيدًا فدخلنا نبحث عن الماء، ولكن عندما دخلنا وجدنا المنزل فارغ.

أجاب الرجل الفلاح:

- حسنًا، هذا المنزل فارغ منذ عدة سنوات، وأنا حارسه.

سألته (سلمى):

- لماذا تحرس منزلًا فارغًا؟

أجاب الفلاح:

- هذا المنزل ملكًا لإحدى العائلات المرموقة، استأجرني فردٌ من أفراد العائلة من أجل أن أنتبه على المنزل من حينٍ لآخر.

قالتْ:

– يبدو أنّ هذا المنزل يهم هذه العائلة كثيرًا!

أجاب الفلاح:

– نعم، بالفعل.

قال (بدر):

– إننا تائهان في هذا المكان منذ أمس ولا نعرف كيف يمكننا أن نخرج من هنا، هل يمكنك أن تساعدنا في أن نصل إلى مركز سنورس؟

أجاب:

– لا أصدق ما تقولان، كيف تائهان؟ هناك أمر ما تحاولان إخفاءه!

قال (بدر):

– بينما كنا بطريقنا إلى سنورس، أوقفنا قُطّاع طرق وسلبوا كل شيء نملكه حتى السيارة.

قال الفلاح:

– حسنًا، إنّكما هنا في مركز طامية، وسنورس تبعدنا (٦ ,٨ ميل)، إنّك في حاجة إلى سيارة، سأتصل بابن خالي ليأتي ويصطحبكما إلى قريتكما.

قال (بدر):

– لا نعرف كيف نشكرك!

– هذا واجبي.

همستْ (سلمى) في أذن (بدر)، قائلةً:

– لماذا لم تخبره الحقيقة؟

– لا نستطيع الوثوق بأي شخص.

بعد مرور ساعة، وصلا إلى سنورس. شكر (بدر) ابن خال الرجل الفلاح، ونزلا من السيارة في المركز. بعد لحظاتٍ من الشرود، قالتْ:

– شكرًا على كل شيء! يجب أن نفترق الآن.

– إلى أين ستذهبين؟

– لا أعلم، لن أستطيع العودة إلى القاهرة، سأكمل ما بدأته؛ سأبحث عن عائلة الرضوان.

– يبدو أنكِ نسيتِ ما أخبرتكِ به عندما كنا في تلك الحجرة، سنبحث عن هذه العائلة معًا، أيضًا لن تستطيعي العثور عليهم لحالك؛ محافظة الفيوم كبيرة جدًا.

تابع:

– ستكونين ضيفة في منزلنا حتى نصل إلى عائلة الرضوان.

– لا! كيف هذا؟ ربما عائلتك تنزعجك من استضافتي!

– لا تقلقي، لن ينزعج أحد، وأيضًا أختي تقارب عمرك؛ ستكون سعيدة بتواجدك.

سارا في الطريق الذي يؤدي إلى منزله، انساب القلق إليها عندما اقتربا إلى المنزل والجيران تتفحصهم؛ ربما لأنّ ثيابهما ليست نظيفة؛ اتسختْ أثناء هروبهما من العصابة. أشاحتْ بنظرها بعيدًا عنهم، وتابعتْ السير حتى وصلا إلى باب المنزل.

طرق الباب، فتحتْ له (زينب)، اتسعتْ حدقتا عينيها من المفاجأة، ثم احتضنته من شدة فرحتها بعودته. دخل (بدر) إلى المنزل وبرفقته (سلمى)، ظل ينظر إلى كل تفصيلة به، كل شيء تركه كان ما زال كما هو؛ لون غرفة المعيشة الأبيض، والطاولة الخشبية التي كان يتناول عليها الطعام برفقة عائلته دائمًا، أيضًا تذكرعندما كانتْ تصنع أمه الخبز في الفرن البلدي في الصباح الباكر كل يوم، كان يستيقظ كل صباح على رائحة الخبز الرائعة. ابتسم حين رأى «كاسيت» والده، كان يحب أن يُشعل أغاني أم كلثوم كل ليلة في المساء. دمعتْ عيناه، وتمتم قائلًا: يا لها من أيامٍ رائعة!

استقبله الجميع في سرور عدا والده؛ عندما رآه عبس وجهه، ثم نهض على الفور وصعد إلى حجرته. كان يعلم منذ البداية أنّ هذا سيحدث، وأنّ والده لن يسامحه بتلك البساطة، لكن ما زال لديه أمل أن يسامحه ذا يوم.

ضمه (محمد) بقوة، وهمس في أذنه قائلًا:

– قلقتُ عليك يا أخي! بحثنا عنك في ذلك المكان ولم نجدك، وأيضًا الشرطة لم تجد أثرًا لك ولا لتلك الفتاة، أخبِرني كل شيء حدث.

أردف:

– لم أخبر عائلتنا بشيء؛ خشيتُ أن يحدث لأمي شيء أثر قلقها عليك؛ إنّك تعلم أنّها تنتظرعودتك منذ عدة سنوات، أخبرتها أنّه طرأ عليك شيء هام فأجلتَ عودتك عدة أيام أخرى.

– أحسنت التصرف، سأخبرك لاحقًا ما حدث، وتلك الفتاة التي اختطفوها إنّها سلمى؛ التي هي أمامك الآن!

– لماذا أتيتَ بها إلى هنا؟

- اخفض صوتك! لا أريدها أن تحزن بسبب كلامك.

- حسنًا، في المساء ستخبرني بكل شيء.

قالتْ أخته (زينب):

- من هذه يا بدر؟

- إنّها سلمى صديقتي، ستكون ضيفتنا عدة أسابيع.

نظرتْ لهما بتعجبٍ، وقالتْ:

- حسنًا، أهلًا بكِ يا سلمى.

- أهلًا بكِ أيضًا.

قال:

- أعدي حجرة الضيوف لسلمى، وجهزي لنا الغداء؛ إننا نموت من شدة الجوع، أيضًا أريد كوبَ مياه لسلمى.

حملتْ (سلمى) كوب المياه من يديها على الفور واحتسته دفعةً واحدةً، وقالتْ:

- أممكن كوب آخر؟

- حسنًا، بالطبع.

عادتْ أخته بالكوب الآخر وأعطته لـ (سلمى)، ولكن تعجبتْ حين لم ترَ معهما حقائب، سألته:

- أين حقائبكما؟

- سرقتْ منّا.

– كيف؟

– أثناء سيرنا في الطريق أوقفنا قطاع طرقٍ وسلبوها.

– لا بأس، أهمُّ شيءٍ أنّكما بخير.

كاد (بدر) أن يصعد، ولكن أوقفته والدته، وقالتْ:

– من هذه الفتاة؟ ولماذا تبقى ضيفة في منزلنا؟ هذه ليستْ عاداتنا يا بُني، يجب أن تفرق بين المكوث في المدينة والمكوث في القرية.

– رجاءً يا أمي تحمليها من أجلي عدة أسابيع فقط! وإن لم تستضفيها سأذهب أنا أيضًا معها.

– أخبِرني سببًا واحدًا مُقنعًا يجعلني أستضيفها في المنزل.

– هذه الفتاة زميلتي في العمل، وكانتْ تعيش مع جدتها، توفتْ جدتها قبل أيام، وأتتْ إلى هنا تبحث عن منزل خالتها لتمكث معها، سافرنا معًا في ذات القطار، وعندما وصلنا إلى المنزل لم نجدها، وكادتْ تعود إلى القاهرة ولكن أنا من ألح عليها أن تبقى في منزلنا عدة أسابيع حتى تعثر على مكانها.

– لم أقتنع بحديثك، ولكن سأتظاهر بأنّي صدقتك، وسأتحملها فقط عدة أسابيع من أجلك، ولكن لا تنسَ أنّها ليستْ من العائلة؛ فلا تجعلها تُطيل المكوث في منزلنا، وسأفكر في أمرٍ ما أخبر به الجيران؛ لأنّ الجميع سيوقفني عندما أسير خطوة واحدة خارج المنزل، ويسألون عن تواجد هذه الفتاة.

قبَّل يديها، وقال:

– الله لا يحرمني منك.

***

في المساء:

نظر (بدر) إلى الشرفة فلم يجد والده، أدرك أنّه سيظل في حجرته هذا المساء، ولن ينضم إلى العشاء مساءً. تنهد بعمق، وجلس على الطاولة الخشبية في صمتٍ شديدٍ.

انتبهتْ (سلمى) لحزن (بدر) بينما كانتْ تساعد أخته في وضع أطباق الطعام، نظرتْ له، ثم قالتْ:

– كل شيء سيكون على ما يرام، لا تقلق.

ابتسم بيأسٍ، وأجاب:

– يا ليت!

قالتْ (زينب):

– هيا انهض واذهب إلى غرفة والدنا وحاول أن تسترضيه.

أومأ برأسه إيجابًا، ثم صعد على الفور إلى الغرفة ودخلها، ونظر إلى عينَي والده بحزن، ثم جلس جانبه على طرف الفراش، وقال:

– أعلم أنّي خذلتُك؛ لم أكن الابن الذي تريده، أعلم أنّي رحلتُ عندما كنتَ في حاجة إليّ، مهما فعلتُ لن أستطيع أن أغفر لنفسي ما فعلته معك يا أبي! لكنّي نلتُ عقابي وحصلتُ على ما أستحق، ورجائي الوحيد الآن هو أن تسامحني وننسى الماضي.

نظر له والده بغضبٍ، وقال:

– اذهب من غرفتي ولا تتحدث معي مرة أخرى، وسأبقى غاضبًا عليكَ حتى أموت!

تساقطتْ دموعه من عينيه، ثم ذهب وهو يائسٌ إلى غرفته وألقى حاله على الفراش. بعد دقائق، أتتْ (زينب) ورأته في تلك الحالة؛ فأدركتْ أنّ والدهما لم يسامحه بعد، تمهلتْ لحظاتٍ، ثم مررتْ يديها على ذراعه وقالتْ:

– أبي قلبه طيب، سوف ينسى كل شيء بعد أيام، ولكن لا أستطيع أن أراك في تلك الحالة، هيا انهض؛ الجميع ينتظرك على العشاء.

– اذهبي أنتِ؛ لا أريد أن أتناول شيء.

– إن لم تتناول العشاء فلن أتناوله أيضًا.

– حسنًا، هيا انهضي.

قبَّلتْ خدَّه، ثم توجها معًا نحو غرفة المعيشة.

بعد تناولهم العشاء، نهض (بدر) وتوجه نحو أرضهم. اتبعته (سلمى)، ثم وقفتْ بجواره، قاطعتْ شروده قائلةً:

– لا أعلم ماذا حدث بينك وبين والدك، ولكنّي أعلم أنّه يحبك بشدة؛ رأيتُ نظرة الشوق في عينيه عندما دخلنا إلى المنزل، ولكن يبدو أنّ ما فعلته أحزنه بشدة، لكنّه والدك ولن يستطيع أن يظل غاضبًا منك دائمًا، أثق أنّه سيسامحك قريبًا.

– أتمنى ذلك!

قالتْ:

– اجعل الأمل يستمر داخلك رغم كل العوائق التي تصادفك.. بالأمل تستمر حياتك، وأيضًا تستمر أحلامك، بالأمل ستعيش أسعد سنوات عمرك.. لن أخبرك أنّ الحياة خالية من الهموم، لكن إن كنت قويًا دائمًا ستتخطى كل شيء سيئ من الممكن أن

يحدث معك.

نظر لها بعمق، وقال:

– أشعر أنّكِ مؤلِّفة، ما هذا الكلام الرائع؟

– لا يشترط أن أكون مؤلِّفة لأستطيع أن ألقي حِكمًا جيدة، ولكن الحياة تعلمنا كل شيء.

***

عام ١٩٨٥:

الفيوم:

القرية:

– في هذا المساء ألقي خطابي الأول، أعلم أنّكم قلقون بشأن ما يحدث في القرية هذه الأيام، وأدرك بأنّ الجميع متأثرٌ بشأن تدهور حال قريتنا، ولكن مهما حدث لن ينجو الفاعل وسأقضي عليه قريبًا هو ومن يساعده! اليوم، فهد بن الشيخ حليم يخبر الجميع بأعلى صوته أنّه لن يرحم أعدائنا وسأقضي عليهم جميعًا أمامكم. أعلم أنّهم يراقبوننا الآن؛ فالذلك سأقول بأعلى صوتي: لن يستطيع أحدٌ أن يؤذينا أبدًا.

فرح العامة بخطابه، وتحمسون له حين ألقى العمدة (فهد) خطابه الأول. وأخيرًا أصبح العمدة وسيكمل مسيرة والده الشيخ (حليم)، (فهد) ليس مثل باقي عائلته؛ إنّما يتميز عنهم بأنّه شديد الدهاء، وكان يشتهر في طفولته بالحكيم؛ لأنّه كان يتحدث مع الجميع بعقلية حكيمة وليس مثل باقي إخوته؛ فلذلك الجميع سعيدٌ بأنّه أصبح العمدة الآن.

قالتْ (وفاء):

– لماذا وافقتَ أن تكون العمدة؟ إنّك تعلم خطورة ما أنت مقبلٌ عليه.

اقترب منها، ثم قبّل رأسها، وقال باسمًا:

– لا تقلقي يا وفاء، لن يستطيع أحد أن يؤذيني.

قاطعتها (فاطمة) زوجته، قائلة:

– أختك محقة، إنّك تعلم جيدًا ما حدث لوالدك وكيف قتلوه.

– حسنًا، لا تقلقا، كل شيءٍ سيكون على ما يرام.

توجّه إلى الباب حين سمع صوت (رشاد). فتح له، ثم قال:

– ماذا فعلت؟

– فعلنا كل ما أخبرتنا به.

– حسنًا، اذهب وسألحق بك.

حمل (رشاد) المصباح، ثم هرول نحو الأرض. بعد دقائق أتى (فهد)، وأمر رجاله بالحفر. تعرقتْ وجوههم بشدة من الحفر، توقفوا قليلًا حينما شعروا بالإنهاك. أخبرهم (فهد) أنّ ليس أمامهم الكثير من الوقت، ويجب أن ينتهوا من الحفر على الفور. بعد دقائق عادوا مجددًا إلى ما كانوا يفعلونه.

حدقتْ عينا (رشاد) حين رأى ما خرج من الحفرة، نظر إلى (فهد)، ثم قال لاهثًا:

– هذه المرة ليستْ مثل قبل.

– نعم، أنا أيضًا تفاجأت.

أردف:

– انتبه على الأميرة وخبئها في مكانها المعتاد.

– لا تقلق، الأميرة ستكون في استضافتنا وسنكون في خدمتها دائمًا.

ابتسم (فهد)، وقال:

– حسنًا.

عاد (فهد) إلى المنزل حين اطمئن أنّ كل شيء حدث مثلما يريد. دخل إلى غرفة المعيشة، لم يرهما؛ يبدو أنّ زوجته وأخته ناما. دخل إلى حجرته، ابتسم حين رأى (فاطمة) ما زالتْ مستيقظةً تنتظره، ترتدي ثوب أحمر رائع، ورائحة عطرها تفوح في أنحاء الحجرة.

اقترب منها، ثم قبّل رأسها، وقال:

– حبيبتي ما زالتْ مستيقظةً وتنتظرني! ما هذا الرضا؟

– مشتاقةٌ إليك بشدة!

أردفتْ:

– حزينة بشدّةٍ؛ لأنّك أصبحتَ تهتم بعملك أكثر مني!

– حسنًا، أعلم أنّي مقصرٌ معك منذ مدة، ولكنّي أفكر بكِ دائمًا وصورتكِ لا تفارق ذهني.

ابتمستْ، وقالتْ:

– كلامك هذا لم يعد يسترضيني مثلما كان يفعل قبلًا، ما زلتُ حزينةً.

– سأصالِحُكِ الآن بطريقة أخرى.

وضع على رقبتها عقد ذهبي كبير، ثم قال:

- ما رأيك؟

حدقتْ عيناها في ذهول:

- حقًا رائع!

- الآن تصالحنا؟

- نعم.

شرد إلى عينيها الخضراء، وقال: «لم أرَ ولن أرى امرأةً في جمالك يا فاطمة».

ابتسمتْ في خجل، وقالتْ: «وإنّك سيد الرجال».

***

في الصباح الباكر:

نظرتْ (وفاء) في أرجاء الساحة لم ترَ أحدًا. بعد مرور خمس دقائق، رأتْ حبيبها دالفًا إليها. إنّه الاثنان، هذا يوم لقائهما؛ تنتظره كل اثنين في الخامسة صباحًا، وإن لم يأتِ بعد الخامسة ونصف تُدرك أنّه حدث شيء ما منعه من لقائها. مر عامان على لقاءاتهما السرية.

ابتسمتْ، وقالتْ: «هل رآك أحدٌ؟».

- لا تقلقي، لم يرَني أحد.

- هيا، سأصطحبك إلى مكاننا المعتاد قبل أن يرانا أحد.

توجها نحو الأرض الصغيرة التي تبعد مسافة رُبع ساعة عن منزلها؛ هذا المكان يشهد على حبهم، اعترف لها بحبه للمرة الأولى هنا، وتشجارا وتصالحا في ذات المكان.

اقترب منها، ثم ضمها إلى صدره بقوة، ومرر يديه على شعرها، وقال:

- إلى متى سنظل نلتقى سرًا؟

- إنّك تعلم أخي، إن علم بأمرنا سيقتلنا.

- لكن ما نفعله ليس صحيحًا، أريد أن نكون مع بعضنا إلى الأبد.

أردف:

- الصراعات التي بين عائلتك وعائلتي ليس لنا دخل بها، لا يهمني كل هذا، أنتِ فقط التي تهمينني يا وفاء!

تساقطتْ دموعها من عينيها، وهي تقول:

- أعلم هذا، ولكن ماذا أفعل؟ أخي وعمي لن يقبلا بحبنا أبدًا.

أردفتْ:

- عائلتك أيضًا لن توافق على زواجنا.

- أعلم ذلك، ولكن يجب أن نفعل شيئًا، لا أستطيع تحمل فراقك أكثر من ذلك!

مسح دموعها، ثم قرص خدَيها بلطف، وقال:

- لا أريد رؤية هذا الوجه الملائكي يبكي مرة أخرى.

- هل ستتخلى عنّي ذات يوم؟!

- لا تحلمي بهذا الأمر، روحي وقلبي تعلقا بكِ، كيف سأتخلى عنكِ؟

- حقًا أحبك يا أحمد!

قال:

- كتبتُ لكِ قصيدة.

- حقًا.

ما أروعكِ حين تنطقين اسمي! أشعر كأنّي أسمعه للمرة الأولى...

ما أروعكِ حين تنظرين لي بتأمل! أشعر كأنّي ازداد وسامة...

ما أروعكِ حين تبتسمين لي! أشعر أنّي أسعد إنسان في الكون...

ما أروع الكون! لأنّه جمعني بكِ سيدتي.

شعرتْ بالفزع بينما كانتْ شاردة مع كلماته؛ بسبب انبعاث صوت من قربها. ركضتْ (وفاء) على الفور وتركتْ (أحمد) في الأرض، وتمتمتْ داخلها تدعو الله بأنّ ما تفكر به لا يكونُ صحيحًا!

***

{٢}

بعد عدة أيام

نزل (بدر) وبرفقته (سلمى) ليبحثا عن عائلة الرضوان. استعان بصديق له في القرية يدعى (ياسين الأسمر)، يعلم كل شبر في الفيوم، إنّه أكثر إنسان يستطيع مساعدته هنا.

وصفتْ (سلمى) لـ(ياسين) ملامح الرجل الذي رأته بالصورة، شرد قليلًا وأجابهم: «إنّه لا يوجد مثل هذا الشخص هنا، وأيضًا لم أصادف عائلة الرضوان من قبل.. يبدو أنّكما أخطأتما في المحافظة، ربما يكونون في محافظة أخرى؟».

همستْ (سلمى) في أذن (بدر)، قائلةً:

– يبدو أنّه كما قلتَ، يعرف كل شبرٍ في الفيوم!

قال ضاحكًا:

– أخجلتنا أمام الغرباء.

أجاب:

– حقًا لم ألتقِ بهم أبدًا، ولكن دعني أبحث عنهم وسأُخبرك إن عثرت عليهم.

أدركا أنّهما لن يعرفا شيئًا الآن، تركا (ياسين)، ثم سارا في القرية. ظلّتْ (سلمى) تشاهد شوارعها البسيطة والمنازل الرائعة، والأراضي الخضراء حولها في كل مكان. لفت انتباهها بساطتها وهدوءها، ليست مثل القاهرة مزدحمة والضجيج في كل مكان فيها. توقفتْ (سلمى) أمام شجرة برتقال كبيرة، وظلّتْ تلح عليه بأن يقطتف لها واحدة. حمل عصا من على الأرض، ثم ألقى بها على إحدى الفروع، لكن لم تسقط أيّ منهم. حملتْ

(سلمى) صخرة صغيرة، وألقتها على رأس (بدر) بالخطأ وهي تحاول أن تلقيها على الشجرة. ركضتْ إليه، وقالتْ:

– هل حدث لك شيء؟ أعتذر!

– شيءٌ بسيط، تورمتْ رأسي فقط.

تابع:

– لا تحاولي أن تساعديني مرة أخرى.

– حسنًا، آسفة.

بعد عدة محاولات سقطتْ برتقالة، حملتها (سلمى)، ثم توجها نحو المنزل وهما يأكلان البرتقالة ويتحدثان عن كل ما حدث، ربما يستطيعان أن يصلا إلى شيءٍ، وأيضًا حاولا استنتاج ما حدث ومن هو الخاطف.

توقف (بدر) أمام المنزل، وقال لها:

– ربما الخاطف يكون من عائلة الرضوان؟

– كيف؟ ولماذا سيختطفني؟

– لا يريدك أن تصلي إليهم!

أردف:

– يبدو أننا إن وصلنا إليهم سيسبب ذلك كارثة كبيرة!

بعد ثوانٍ من التحديق، قالتْ:

– نعم، بالفعل، كل ما تفكر فيه منطقي للغاية.

قطع حديثهما والدته، قائلةً:

– أريد أن أتحدث معك يا بدر، الحق بي.

قالتْ والدته:

– من هذه الفتاة؟ وأيضًا تتجولان في القرية وكأنّها زوجتك! إنّك تعلم عاداتنا، ماذا سيقول الجيران عننا؟ إنّك في الفيوم لست في القاهرة، انتبه لكل شيء تفعله!

– لا يهمني آراء الناس، سيتحدثون عننا في كل الحالات، سواء فعلنا أشياء جيدة أم لا، لن يتركونا وشأننا؛ لذلك لن أبالي بهم.

قالتْ:

– مثلما أنت، لم تتغير، عنادك هذا هو من أبعدنا عنك خلال السنوات الماضية، مهما فعلت لن تستطيع أن تُغيّر حقيقة أنّك ابن الفلاح البسيط مُحسن ناجي.

نظر لها بحزنٍ، ثم قبّل يديها، وقال:

– إنّكِ محقة؛ يجب أن أنتبه لأفعالي، ولكنّي تغيرت، أقسم لكِ أدركتُ أنّ أبي أعظم رجل في العالم.

مررتْ يديها على رأسه، ثم ابتسمتْ وقالتْ:

– سعيدة أنّك لم تعد تتعجرف مثلما كنتَ قبلًا.

نظر إلى شرفةً، رأى (سلمى) ترمقه. ابتسم لها، ثم صعد إلى درج المنزل. رأى والده جالسًا في غرفة المعيشة، جلس جواره وظلّ صامتًا، لم يستطع أن يتفوه بكلمة؛ ليس لديه الجرأة للحديث معه مرة أخرى. كان أنانيًا ومغرورًا، وخسر كل شيء حارب من أجله، ربما خسر لأنّه أغضب والده! كان يجب أن يدرك أنّه لن يكون سعيدًا أبدًا ووالده غاضبًا

عليه. لماذا سيبارك الله له في حياته وهو لم يرضِ والديه؟ كيف؟ غامر من أجل سراب، وعاد إلى عائلته مرة أخرى، ولكن عاد هذه المرة بنفسٍ راضية، وأخيرًا تقبّل حقيقة أنّه ابن الفلاح العظيم.

دخل (محمد) و(ناجي) أخواه إلى الغرفة، حاولا المزاح ربما يكسران حاجز الصمت بينهما. شاركهما (بدر) الحديث، ولكن والده ظلّ صامتًا كما هو. الوقت وحده قادر أن يصلح كل شيء، ليس عليه سوى الانتظار، يكفيه الآن أن يكون جواره ويشعر بأنفاسه.

راقبتْ (سلمى) المشهد من بعيد، ودعتْ داخلها أن يسامحه والده ويريح قلبه. لكن نال فضولها سبب حزن والده وماذا فعل ليقسوا عليه هكذا! توجهتْ نحو غرفة (زينب)، طرقتِ الباب ودخلتْ عندما أذنتْ لها بالدخول، قالتْ:

– جيد أنّكِ أتيتِ، كنتُ سأذهب إليكِ الآن.

أردفتْ:

– هذه الملابس من أجلك.

ابتسمتْ وشكرتها على اهتمامها بها، ولكن لم تستطع أن تتحمل وسألتها عن سبب غضب والدها من (بدر). تمهلتْ لحظات، ثم أخبرتها كل شيء:

– إنّ (بدر) منذ أن كان في المرحلة الإعدادية وهو يتعجرف، ويحاول أن ينكر حقيقة أنّه من الأرياف، تأثّر بصديق له يدعى أحمد، لم يكن أحمد من الفيوم ولكن كان يأتي زيارات لقريتنا لأنّ والده من الفيوم ولكن والدته من القاهرة، منزل والده بجوارنا، كان أحمد يأتي في الأجازات المدرسية، ويحب قضاء الوقت مع بدر لأنّه يقارب عمره، كانا يظلّان لساعاتٍ معًا يتحدثان ويلعبان وكأنّهما إخوة، استمتع بدر بقضاء الوقت معه أكثر من إخوته، ولكن لم نكن نعلم أنّه سينشئ داخله عقدة كبيرة، لم نستطع أن نعالجه

منها أبدًا! ظلّ (بدر) دائمًا يحلم بالذهاب إلى القاهرة ويترك كل شيء هنا، وبالفعل عندما حانتِ الفرصة تركنا وذهب دون رغبتنا، لم يوافق أحدٌ على أفعاله؛ لهذا السبب توقفنا عن التواصل معه نهائيًا، ولكن ظلّ محمد فقط يتواصل معه دائمًا، ويخبرنا عن أحواله، لكن لا نعلم ماذا حدث معه فجأة جعله يحسم أمره ويعود إلينا! ولكنه لم يعد كما رحل؛ إنّما تغير كثيرًا! لطالما تمنينا أن يتغير دائمًا، ولكنه تأخر كثيرًا، عاد بعد مرور ثمان سنوات!

قالتْ (سلمى):

– لا يهم متى تغير، ولكن الذي يهم أنّه تغير.

– بالفعل .

أردفتْ:

– يبدو أنّكِ لستِ صديقته كما أخبرني، أخبريني الحقيقة رجاءً؟

أخبرتها بكل شيء حدث، والصدفة العجيبة التي جمعتهما، وعائلة الرضوان التي تبحث عنها. حدقتْ عيناها عندما سمعتْ ما أخبرتها به (سلمى)، وقلقتْ كثيرًا من القادم! يبدو أنّ هذه الحكاية ستسبب العديد من المشاكل لعائلتها. حذّرتْ (زينبُ) (سلمى) بأن لا تخبر أحدًا آخر من عائلتها عن هذه القصة؛ لا تريد أن تقلقهم، يكفي غضب والدها من أخيها؛ لا تريد أن تزيد من غضبه أكثر من ذلك.

ابتسمتْ (زينب)، وقالتْ:

– هل تعلمين أنّي أحببتُ تواجدك معنا بالمنزل؟ أشعر كأنّنا أصدقاء منذ زمن بعيد.

ابتسمتْ هي أيضًا، ثم أجابتها:

– وأنا أيضًا.

هناك أناسٌ لا تربطنا بهم علاقة قوية، ولكن عندما نلتقي بهم يتركون أثرًا كبيرًا داخلنا؛ لأنّ روحهم رائعة، حتى كلامهم يكون ذا قيمة. عندما نصادف مثل هذا النوع من الناس يجب أن نقدرهم كما يستحقون؛ لم يتبقَ منهم سوى قلة.

استيقظتْ في صباح اليوم التالي..

ارتدتْ ثوبًا لونه بنيّ، لم ينل إعجابها لأنّه قصيرٌعليها، استعارته من (زينب) وإنّها أقصر قليلًا منها. توجهتْ نحو الشرفة، وقفتْ تنظر في أرجاء الأرض الزراعية، وتستنشق الهواء، وابتسمتْ حين شعرتْ بالشمس تداعب وجهها.

لفتَ انتباهها (بدر) هو وأخاه (محمد) يحصدان القمح، ضحكتْ بشدة عندما وقع (بدر) أرضًا وهو يعمل. نظر لها عندما سمع صوت ضحكاتها المرتفعة، نظرتْ له في خجلٍ، وقالتْ: «هل أساعدكما في شيء؟».

نزلتْ على الفور حين أومأ رأسه إيجابًا، توجهتْ نحوهما. شرح لها (محمد) كيف يتم حصد القمح.

بعد مرور ساعة من العمل، جلس (بدر) أرضًا وقال لهما: «لن أُكمل حتى أتناول الطعام».

ابتسم (محمد)، وقال:

- يبدو أنّي اصطحبتُ طفلًا صغيرًا إلى العمل.

قالتْ:

- يبدو أنّك محقًا.

بعد مرور ربع ساعة، أتتْ (زينب) حاملة صينية الطعام، جلسوا جميعًا على الأرض

ثم بدأو في تناول فطيرًا وعسلًا، أيضًا جبنة قريش.

رمقتْ (بدر) من حين لآخر وهو يتناول بشراهة، شردتْ (سلمى) تفكر فيه بينما كانتْ تتناول الطعام، تذكرتْ ما فعله معها وأنّه ساعدها عندما كانتْ مختطفة ولم يتركها أبدًا. لكن تعجبتْ من أفعاله الطفولية، كيف يتحول هكذا في لحظة؟ كان بالأمس بطلًا أنقذها من الأشرار، والآن طفلٌ صغيرٌ لا يستطيع تحمل المعاناة، ما هذا الإنسان العجيب؟ عادتْ من شرودها عندما رأتِ الجميع محدق بها.

قالتْ في فضول: «ما الأمر؟».

قال (بدر):

– ظلّي ثابتة، لا تفعلي أي حركة.

اتسعتْ حدقتا عينيها حين اقترب من كتفها الأيسر وسلب من عليه دودة كبيرة، عندما رأتها نهضتْ مهرولةً، ثم صاحتْ في خوفٍ وقالتْ:

– ما هذه؟

– إنّها دودة الأرض.

اقتربتْ منها (زينب) وهي باسمة، مررتْ يديها على ذراعها، وقالتْ لها: «لا تقلقي، لن تؤذيكِ».

– حسنًا، لا بأس.

انتبه (بدر) لوالده وهو يراقبهم من الشرفة، ابتسم لوالده ولكن لم يعره اهتمامًا كما يفعل دائمًا، تمتم:

– حسنًا يا حج محسن، سنرى إلى متى ستبقى غاضبًا!

في صباح اليوم التالي:

توجه نحوها حين رآها واقفةً أمام شجر الورد، تتأمله بعمقٍ وكأنّها تنتمي إلى عالمه. قطف وردة لونها أبيض من الشجرة، ثم قال لها:

– هذه لكِ.

ابتسمتْ وشكرته.

قال:

– فيما أنتِ شاردة؟ هل الورد يتحدث معك؟

– نعم، أُعاتبه لأنّه يذَكِّرني به!

– من هو؟

– رامز.

– هل ما زلتِ تحبينه؟

– لا أعلم.

أردفتْ:

– هذه الأشجار جميلة للغاية لم أرَ أجمل منها في حياتي! ولكنّها تذكرني بالذي أحاول نسيانه، إننا نعشق هذه الطبيعة؛ كنّا نسير معًا دائمًا ونتعمق في جمال كل وردة تصادفنا، كان يقطف لي الورد وينظر إلى عيناي ويحدثني عن كل ما في داخله، أُتقن لغة العيون جيدًا؛ نظرة واحدة كانتْ كافية لأعلم ما كان يريده.

الآن أنا هنا في أجمل طبيعة، ولكن ليس معه. كنتُ أعلم منذ البداية أنّ علاقتنا ربما

تنتهي في يوم ما؛ كان يتجاهلني شهورًا وعندما يعود يخبرني بأنّه حدثتْ معه أمور طارئة ولم يرِد أن يحزني معه، لهذا الأمر يختفي مدة من الوقت ويعود عندما تتحسن حالته، اختفاؤه الدائم كان يسلب روحي، عندما كان يعود مرة أخرى كنتُ أنسى كل شيء سيئ فعله معي، كنتُ أهرب من نفسي وأكذب عليها بأنّه ربما يتغيّر، يصبح ملكي للأبد، تمنيتُ أن أجعله أسيري وأن لا يبتعد عني مرة أخرى، لكنّه كان يخذلني دائمًا! كان يعلم جيدًا أنّي لم أحب شخصًا مثلما أحببته. كنتُ أتعجب عندما أرى شخصًا يتعلق بشخصٍ يؤذيه ويستمر معه رغم الألم الذي يسببه له، لكن الآن علمتُ ما هو السبب؛ عندما تعشق شخصًا يؤذيك في كل مرة تحاول أن تبتعد فيها عنه قلبك يجعلك تعود إليه مرة أخرى ويجعلك تتوهم أنّك لعلك تستطيع أن تغيره وتجعله يتناسب معك، لكن تكتشف في النهاية أنّك لم تغيّره هو إنّما غيّرتَ حالك؛ بأنّك اعتدتَ على الألم وأصبح الألمُ شعورًا دائمًا في حياتك لا تريد الفرار منه. لأنّك أوهمتَ نفسك أنّك تستحق الذي يحدث معك، لأنّك قبلتَ منذ البداية أن تستمر مع شخصٍ يؤلمك، وأنّك لا تستحق أفضل منه، تظلّ تلوم ذاتك وتقهرها على اختياراتك الخاطئة، وعندما تبدأ أن تتصالح مع ذاتك تجد نفسك قد كبرتَ والحياة سرقتْ منك أجمل أيام شبابك في سراب، لا تعلم متى أقحمتَ حالك في كل هذا!

لكنّي تعلمتُ من كل الذي حدث معي؛ تعلمتُ أن أنجو من أي علاقة قد تؤذيني، وأصبحتُ قوية لأتخطى أي شيء يُمكن أن يحدث معي.

قال (بدر):

– أعلم أنّكِ قوية جدًا يا سلمى، إنّكِ أتيتِ من القاهرة إلى الفيوم لتبحثي عن والدكِ وحدكِ في مكان غريب عنكِ، لا تعلمين إلى أين سيذهب بكِ، مع ذلك غامرتي دون خوف.

قاطعها (محمد) والغضب على وجهه، قال:

- في ماذا تتحدثان كلّ هذا الوقت؟

نظر له (بدر) متعجبًا:

- لا نتحدث عن أمر هام.

بعدما ذهب (بدر) وتركهما، قال (محمد):

- هل ما زلتِ حزينة من حديث أمي معكِ أمس؟

-لا، نسيتُ هذا الحديث، أيضًا والدتك صالحة، وإنّها محقة في قلقها بشأن تواجد فتاة غريبة في منزلكم، أيضًا عاداتكم ليستْ مثلنا؛ هنا القرى عائلات، وإن رآني أحدٌ ما من أهل القرية سيعلم أنّي غريبة عنكم وسيتحدثون بشأن إقامتي بمنزلكم وأنا لا تربطني بكم أيّ صلة.

قال:

- لا تقلقي بشأن هذا الأمر، سأخبر الجميع أنّكِ مخطوبتي وسنتزوج.

حدقتْ عيناها في ذهول، وقالتْ:

- لا، لن أقبل بهذا الأمر، لا أريد أن تكرهني والدتك أكثر من ذلك، رجاءً انسَ هذا الأمر!

- حسنًا، كما تشائين، ولكن سأكون جانبك دائمًا ولن أقبل بأن يزعجك أيّ إنسان.

- شكرًا على ذوقك، يكفيني اهتمامك.

أردفتْ:

- سأذهب إلى حجرة زينب.

- حسنًا.

زفرتْ في حنقٍ وهي متوّجهة نحو غرفة (زينب): هذا ما كان ينقصني! يبدو أنّه يهتم لأمري كثيرًا، والدته ستقتلني لو أدركتْ هذا الأمر! يكفي أنّها متحملة إقامتي في منزلها رغمًا عنها من أجل (بدر) فقط..

يالله لماذا يحدث معي هذا دائمًا؟ كلما أنجو من مأزقٍ ما، يأتيني الآخر مهرولًا!

«أي شيء مؤلم يصادفنا في حياتنا، هناك حكمة ما بشأنه، ربما لا ندركها الآن، وربما لا ندركها لاحقًا، لكن يجب أن نُدرك جيدًا أنّ الله يريد لنا دائمًا الخير».

***

حجرة زينب

قالتْ (سلمى) بنبرة حزن:

- لماذا دائمًا يحدث ذلك؟ لماذا نحب من لا يقدر قيمتنا؟ هل هذا خطأنا أم خطأهم؟ يبدو أنّ الخطأ هو في اختياراتنا... دائمًا نركض وراء مشاعرنا دون أن نفكر: هل هذا الإنسان يستحق تلك المشاعر أم لا؟

أجابتْ (زينب):

- نستطيع أن نتحكم في كل شيء إلّا قلوبنا؛ هي من تتحكم بنا دائمًا.

أردفتْ:

- هو لا يستحق أن تحزني بسببه.

- إنّكِ محقة!

أردفتْ:

- وأنتِ، ألم تحبي من قبل؟

- سأخبرك، ولكن لا تخبري أيّ شخص بهذا الأمر.

- حسنًا!

- ذات يوم رأيته يختلس من أرضنا البرتقال، كاد قلبه يتوقف عندما رآني أمامه، كانتْ المرة الأولى التي أراه بها، ظلّ يعتذر عن خطأه، وقال: «كان يجب أن لا يسلب البرتقال دون أذن مالك الأرض!»، ضحكتُ بشدة عندما رأيتُ البلاهة على وجهه، أخبرته بأن لا يقلق وأنّ أبي لن ينزعج من ما فعله، لم أستطع أن أتمالك رغبتي في أن أسأله عن اسمه وأين يسكن، قال أن اسمه أحمد نبيل، يعيش بالقاهرة وسيأتي إلى هنا في عطلة المدرسة، وأنّ هذه المرة الأولى التي يأتي بها زيارةً إلى الفيوم.. قلبي خفق له منذ هذه اللحظة، أصبحتُ أنتظر عطلته بتلهف، وازدادتْ سعادتي عندما أصبح صديق أخي بدر، هكذا أصبحتُ أستطيع أن أتحدث معه عن قرب، ولكن فقدتُ أملي في حبي حين سافر بدر إلى القاهرة وأقام معه، منذ هذه اللحظة لم يأتِ مرة أخرى، مرّ على ذهابه ثمان سنوات، أعلم أنّه تغير عن قبل كثيرًا، ولكن أتمنى أن أراه كثيرًا! اشتقتُ إليك للغاية يا سارق البرتقال!

ابتسمتْ (سلمى)، وقالتْ:

- ربما يعود ذات يوم!

- عودته مستحيلة، وحتى إن عاد، ماذا سأفعل مع أمي؟ دائمًا تلح عليّ من أجل زواجي، هنا في القرى الفتيات يجب أن تتزوج في عمر باكر، وعمرى حاليًا ٢٤ عامًا، تقدم لخطبتي العديد من رجال القرية، ولكنّي كنتُ أرفض دائمًا بحجة أنّي لستُ مثل

باقى الفتيات هنا؛ إنّما أكملتُ دراستي وحصلتُ على بكالوريوس طب قبل عدة أشهر، لهذا الأمر لن أتزوج من أيّ شخصٍ ما هنا! لكن أيضًا أمي لن تستطيع أن تتحمل عنادي لوقتٍ أطول؛ ستجبرني ذات يومٍ على الزواج رغمًا عني.

قالتْ (سلمى):

– حقًا حكايتكِ معقدة، مثلي تمامًا؛ أنا أبحث عن أبي وأنتِ تنتظرين حبيبك!

أردفتْ:

– ما هو تخصصك؟

– جراحة العظام.

قالتْ (سلمى):

– شيء جيد، عندما يأتي حبيبك أحمد سأُحطِّم له قدميه حتى تستطيعي أن تقتربي منه وكأنّك تداوينه.

فضحكتْ (زينب).

صباح اليوم التالي:

استيقظتْ (سلمى) على صوت والدة (بدر) وهي تصيح بصوت مرتفع، اقتربتْ من باب الحجرة لتستطيع أن تعلم لماذا تصيح في هذا الصباح الباكر. خشيَتْ بأن تكون هي سبب غضبها الآن؛ تذكرتْ حديث (محمد) أمس، وتمتمتْ بالدعاء أن لا يكون فعل ما أخبرها به. بعد لحظاتٍ اطمأنتْ حين أدركتْ أنّها ليستْ السبب؛ إنّما الأخ الثاني لـ (بدرٍ)، (ناجي) هو سبب الشجار؛ يريد أن يتزوج امرأة لا ترغب بها والدته، يالله! لماذا هي قاسية هكذا؟ فلتتركه وشأنه؛ هذه حياته وليستْ حياتها! يبدو أنّه يحب تلك المرأة

بشدة، (ربي يجعلها من نصيبك!).

بينما كانتْ واقفةً تُنصتُ لحديثهما، فتحتْ (زينب) باب الغرفة فجأة فكادتْ تسقط أرضًا.

ضحكتْ (زينب) عندما رأتها واقفةً هكذا، وقالتْ: «لماذا تقفين هكذا؟».

ابتسمتْ وأجابتها: «شعرتُ بالخوف من صياح والدتكِ، خشيتُ بأن أكون أنا سبب غضبها!».

أخبرتْها أن لا تقلق؛ فـ دائمًا تحدث تلك الشجارات بين والدتها وإخوتها.

– حسنًا، لكنّي أشعر بأنّه قد طالتْ استضافتي في منزلكم ويجب أن أرحل.

– ما هذا الكلام؟ لن أدعكِ ترحلين قبل أن تعثري على عائلتك، وأيضًا أنا مستمتعةٌ برفقتك، سعيدة لأنّي وأخيرًا شعرتُ بأنّ لدي أخت؛ فتاة مثلي، أشاركها الأحاديث في المساء، وأبوح لها بأسراري التي لم أستطع أن أبوح بها لأي شخص.. حقًا لا أريدك أن تذهبي!

ابتسمتْ، وقالتْ:

– حسنًا، لن أذهب من أجلك، ولكنّي سأبقى فقط حتى أستطيع العثور على عائلتي.

***

المساء:

ذهب (بدر) إلى منزل (ياسين الأسمر)، يريد أن يعلم هل حدث أي تطور بشأن عائلة (سلمى). ابتسم حين رآه جالسًا يدخن الأرجيلة، قال:

– هل ما زلتَ تدخن الأرجيلة حتى الآن؟ حتى بعدما مرضتَ بسببها؟

– نعم، إنّها مثل الطعام والماء، لا أستطيع التوقف عن تدخينها.

– حسنًا، كما تشاء.

أردف:

– ماذا فعلتَ بشأن عائلة الرضوان؟

– ما زلتُ أبحث عنهم، ولكن هناك احتمال أن تكون تلك العائلة تركتْ الفيوم قبل عدة سنوات.

– حاول أن تصل إليهم بأي طريقة.

– حسنًا، ولكن ما سبب اهتمامك بتلك الفتاة هكذا؟

تمهل لحظات، ثم ارتشف رشفة من كوب المياه الذي أمامه، وقال:

– أحبها.

حدقتْ عينا (ياسين)، وقال:

– هل أنت مدرك لما تقول؟ هذه الفتاة لا تعلم من هي عائلتها، وأيضًا أنت التقيتَ بها صدفة، أخاك محمد أخبرني كل شيء، وأيضًا عن اختطافها.

– لماذا أخبرك محمد عن هذا الأمر؟

– عندما ذهب محمد مع الشرطة إلى المكان الذي تركك به ولم يجدك، أتى إليّ واستعان بي من أجل أن أبحث معه عنك، وأخبرني الحكاية منذ البداية.

– استعان بك، وخير ما فعل، وكأنّك استطعتَ أن تجدني!

تابع:

– هل أخبرتَ أيّ شخصٍ بحكاية تلك الفتاة؟

– لا تقلق، لن أُخبر أيّ إنسان، وخصوصًا عائلتك؛ إن علموا شيئًا بشأن هذه الحكاية سيجبروك أن تتخلّى عن سلمى.

– أحسنتَ، يجب أن يبقى هذا الأمر بيننا.

– لا تقلق، سيبقى بيننا.

قال (ياسين):

– يجب أن أُنبهك بأنّ ما تفعله سيسبب لك العديد من المشاكل، وأيضًا حبك لها سيكون مثل النار؛ وربما تحترق بها ذات يوم!

– أعلم ذلك، ولكن ليس لديّ ما أخسره، وسأضحي بأيّ شيء من أجلها.

– إنّك حقًا ساذج يا صديقي! تريد أن تُضحي بأيّ شيء من أجل فتاة لا تعلم من هي، أيضًا لا تشعر بحبك ولا بالأشياء الجيدة التي تفعلها من أجلها، هدفها فقط الوصول إلى عائلتها وتستغلك من أجل غايتها.

– أنا لستُ ساذجًا؛ إنّما أفعل من أجلها كل شيء بوعي، وأدرك جيدًا أنّها لا تحبني، ولكنني سأكون جانبها دائمًا.

تابع:

– إنّك لم تحب قبلًا؛ لذلك لن تشعر بما أشعر به الآن، إن أحببتَ بصدقٍ سوف تُضحي بكل شيء من أجل سعادة من تحب، حتى وإن فارقته ستتمنى أن يكون بخيرٍ دائمًا.

– أنا لا أؤمن بالحب وهذه المشاعر التافهة، لا أريد أن أكون ضعيفًا مثلك؛ إنك أصبحتَ ضعيفًا منذ أن أحببت.

– أنا لستُ ضعيفًا، إنما أنت أحمق، ولن تفهمني أبدًا لأنّ داخلك فارغ؛ لذلك لن أُكمل حديثي معك؛ لأنّي لا أريد أن نتشاجر الآن.

كاد يذهب، ولكن أوقفه (ياسين)، وقال:

– آسف، لم أقصد إحزانك، افعل ما تشاء.

– حسنًا، وداعًا.

***

عام ١٩٨٥:

القرية:

استيقظ (فهد) في فزع حين سمع أصواتًا مرتفعةً أمام منزله، ارتدى أول جلباب حمله بيديه وتوجه نحو الباب وهو قلقٌ بشأن ما يحدث في الخارج. فتح الباب، رأى العديد من رجال القرية عابسين ويتذمرون.

حاول أن ينتصب بثبات، وقال بنبرةٌ قوية: «ما هذا الصياح في الصباح الباكر؟ ما الذي حدث؟».

أجاب رجلٌ منهم: «قبل عدة أشهر تحدثنا معك بشأن ما يحدث في القرية، وعن الرجل الذي لقبه أهل البلدة بالنسر الملتحي، إنّك تعلم بأنّه سلب منّا الكثير من المال وأيضًا حرق العديد من الأراضي التي نملكها، جميعنا نعلم أنّه لن يتوقف عن أفعاله الرديئة، وأيضًا أنت لم تستطع أن تعثر عليه حتى الآن!».

قال رجلٌ شيخٌ: «جميع أهل القرية وثقوا بك حين أصبحتَ العمدة قبل عدة أشهر، وإنّك وعدتنا أنّك ستحمي قريتنا من أي مأزق، ولكن يبدو أنّ كل ما أخبرتنا به كان من

أجل أن تصل إلى العُمُديّة».

أجاب (فهد): «أعلم بأنّي لم أستطع الوصول إلى هذا الرجل حتى الآن، ولكن وعودي لكم ليستْ من أجل العُمُديّة، أقسم لكم بأنّي لن أرتاح حتى أصِلُ إلى هذا اللعين وسأعدمه في الساحة أمامكم جميعًا!».

قال (رشاد): «هيا اذهبوا إلى منازلكم هداكم الله! والعُمدة سيفعل كل شيء من أجل أمانكم».

رحلوا من الساحة بعدما ثرثروا كثيرًا. حزن (فهد) بسبب ما حدث قبل قليل، لطالما تمنى أن يصبح العمدة، ولكنه الآن أدرك أنّها مسؤولية كبيرة، ويجب أن يفعل أي شيء ليصل إلى ذلك النسر، وإلا أهل البلدة لن يدعوه وشأنه.

مرر (رشاد) يده على ذراع (فهد)، وقال: «لا تقلق يا فهد، سأبذل أقصى جهدي لأعثر على هذا الرديء».

ابتسم بيأسٍ، وقال: «أثق بك يا أخي».

(رشاد) لم يكن فقط صديقه الوفي ومخبأ أسراره، إنّما أخاه الذي لم تنجبه أمه. دخل إلى منزله وهو ضجرٌ، صاح بغضب على (فاطمة) لأنّها لم تصنع له القهوة حتى الآن.

لم تتفوه بكلمةٍ واحدةٍ؛ لأنّها تُدرك أنّ النار تغلي داخله الآن؛ فنظرتْ له باستياءٍ، وقالتْ: «أعلم أنّ زوجي العمدة لا يصعب عليه شيء، ويستطيع أن يحل كل الأمور المستعصية».

قال : «حسنًا».

ترك المنزل ورحل إلى المخبأ الذي يُخفي فيه جميع أسراره، حمل أحد الصناديق وأخرج

منه تمثال من الذهب وظلّ يتفحصه. أدرك أنّ هذا التمثال ليس مثل الباقي، إنّما يبدو أنّه يعود إلى أُسر أجداده الفراعنة المرموقة! حمل صندوق آخر وفتحه، وجد به أكثر من (كردان) من الذهب، حمل أحدهم وخبأه في جيب الجلباب، ثم أغلق باب الحجرة وذهب.

عندما كان عائدًا من الحجرة السرية، رأى في طريقة رجلًا شيخًا كليلًا تتساقط الدموع من عينيه. أوفقه وسأله عن سبب تلك الدموع وهل هو في حاجة إلى شيء ما.

تمهل الرجل للحظاتٍ، وقال أنّ ابنه طرده من المنزل وأخبره بأن لا يعود إلى المنزل مجددًا.

غضب (فهد) لما سمعه، ثم أمسك يديه وأخبره بأن يذهب معه إلى منزل ابنه. بعد مرور ربع ساعة وصلا إلى المنزل، طرق العُمدة الباب وبعد لحظاتٍ فتح ابنه الباب، لم يستطع بأن يتمالك حاله وصفعه على وجهه بقوة، قال: «لماذا طردتَ والدك من المنزل؟».

أجاب بتعجرف: «لأنّ طلباته عديدة، ولم أتحمل كثرة مطالبه».

نظر (فهد) إلى الشاب بحدة، وقال: «أمامك خياران، إما أن تهتم بوالدك وتعامله بلطف واحترام ولن تدع الدموع تتساقط من عينيه مجددًا، إما أن ترحل من القرية إلى الأبد ولن تعود إلى هنا مجددًا».

صمت الشاب للحظاتٍ، ثم قال: «حسنًا، سأرحل ولن أعود».

بكى الأب بشدة عندما سمع قرار ابنه، قبَّل (فهد) رأس الشيخ وقال: «لا تقلق يا شيخ، سأرسل لك بعد ذهابي رجالًا لتهتم بك وترعاك، وأيّ شيء تتمناه أخبرهم به، وسينفذون كل أوامرك دون جدال».

حدقتْ عينا الشاب عندما سمع ما قاله (فهد)، وقال: «لماذا تهتم بهذا الرجل؟ أنا ابنه

لم أهتم به هكذا!».

قال الأب: «لأنّ لديه رحمة وإنسانية، وأنت لا تعلم أي شيء عن هذه المشاعر النبيلة، إنّه ليس خطأك وحدة، وإنّما كان خطئي أيضًا؛ علمتك كل شيء ولم أعلمك كيف تكون إنسان».

نظر الابن إلى الأب، وقال بعجرفه: «حسنًا».

بعد ربع ساعة، حمل الشاب حقيبة ملابسه ورحل. اشمأز (فهد) من هذا الشاب القاس وكيف استطاع أن يفعل كل هذا بوالده!

قال الشيخ: «من أنت يا بني؟».

– أنا ابنك منذ هذه اللحظة.

رحل (فهد) بعد أن تأكد أنّ الشيخ أصبح بخير، وأرسل رجلَين له ليقوما بخدمته.

ثم عاد إلى المنزل وقلبه مفعم بالأمل، ابتسم وقال: «آسف يا فاطمة لأنّي عاملتُكِ بقسوة قبل ذهابي».

قالتْ باسمةً: «لا داعٍ للاعتذار؛ أنا زوجتك ومن واجبي أن أتحملك في كل حالاتك؛ في حزنك وسعادتك وغضبك، قوتك وضعفك، سأبقى معك في كل شيء».

قال: «اليوم أدركتُ أنّي اخترتُ الزوجة الصالحة».

دخل إلى حجرته، وكاد ينزع الجلباب، ولكن تذكر بأنّه نسيَ (الكردان) الذهبي فى جيبه ولم يذهب إلى حبيبته التي تنتظره الآن!

***

فتحتْ عينيها بعدما أزال يديه من عليهما، وابتسمتْ في ذهول وهي تقول:

– ما هذا المنزل الرائع؟ لم أرَ في حياتي أجمل منه! حتى أنّه أجمل من منزل أخي العمدة!

– كنتُ أعلم يا وفاء أنّه سينال إعجابك، هذا منزلنا الذي سنعيش به بعد زواجنا، منذ عام وأنا أُجهّزه من أجلك وجعلتُ كل شيء فيه مثلما كنتِ تتمني، حتى لون جدرانه كما أردتِ.

نظرتْ إلى المنزل بتأمل، إنّه يتكون من ثلاثة طوابق ولونه مزيج بين الأزرق والأبيض كما كانتْ تحلم، وفيه شرفة كبيرة. اختفتِ ابتسامتها حين روادتها فكرة أنّ زواجهما مستحيل، وربما لن تستطيع العيش فيه أبدًا.

قالتْ:

– لماذا تعجلتْ ببناء المنزل؟ ربما لن نستطيع أن نسكنه أبدًا!

قال بنبرة مفعمة بالأمل:

– تأكدي أنّه ذا يوم سنعيش فيه معًا أسعد لحظات حياتنا، لا تقلقي.

– حقًا أتمنى هذا اليوم!

– سيكون قريب لا تقلقي، سيكتمل زواجنا كما اكتمل بناء المنزل.

جلسا على الأرض الخضراء في الحديقة. وضع (أحمد) رأسه على فخذَيها ونظرا معًا إلى السماء الصافية، وقالتْ:

– هل حياتنا ستصبح مثل هذه السماء ذا يوم؟

– نعم، وأجمل من ذلك!

أضاف:

– هل تريدين أن أذهب إلى فهد وأخبره أنّي أريد الزواج منكِ الآن؟

– لا، أجِّل هذا القرار؛ أخي في تلك الأيام غاضب بشأن النسر الملتحي، وإن أخبرته بشأن الزواج سيرفض دون شك، عندما تهدأ الأمور سأخبرك بأن تذهب له.

– من هذا النسر الملتحي؟

– إنّه رجل فاسد يأذي أهل القرية بأبشع الطرق، ولا أحد يعلم من هو ومن أين أتى ولماذا يكره قريتنا هكذا!

تمهل لحظاتٍ، وقال:

– بالتأكيد سيعثر عليه العُمدة، لا تقلقي.

– بالفعل لن نرحمه أبدًا وسنقتله دون شفقة.

ابتسم وقال:

– كيف تستطيع تلك اليد الناعمة أن تقتُل؟ هذه اليد يجب أن تُقَبَّل فقط.

قَبَّل يديها، وشرد مع عينيها الزرقاء كـ لون السماء التي فوقهما الآن، وظلّ يدعو داخله بأن تكون (وفاء) زوجته ذا يوم!

***

سنورس/ الفيوم.

لم يستطع (بدر) أن ينسى آخر حديث دار بينه وبين (ياسين الأسمر)، وندم بشدة لأنّه أخبره بحقيقة مشاعره لـ (سلمى)، كان يجب ألّا يتفوه بهذا الأمر لأحد ما، ولكن يبدو أنّه وثق بالإنسان الخطأ.

ظهرتْ على وجهه ابتسامةً عابرةً حين رأى (سلمى) تسير نحوه، حاول بأن يتمالك حاله بأن لا يُظهِر لها ربكته، نظر لها نظرةً طويلةً يتعمق في ملامحها..

قاطعته قائلةً: «ماذا بك؟ لماذا تنظر إليّ هكذا؟».

نظر إلى السماء، وقال: «هل ترين هذا القمر الذي يضيء الأرض؟ إنّكِ اليوم تشبينه!».

خجلتْ ثم نظرتْ أرضًا، وقالتْ: «شكرًا».

يعلم جيدًا أنّها سعيدةً بغزله فيها؛ لأنّ جميع النساء تعشق الغزل.. يريد لكلماته أن تظل معلَّقةً بذهنها. لا يعلم متى وقع بحبها ولماذا! ربما لأنّ شخصيتها تختلف عن أي امرأةٍ رآها في حياته؛ قوية وجريئة، وإنّه يعشق هذا النوع من النساء!

قالتْ:

– في ماذا أنتَ شارد؟

– في امرأةٍ ما.

– من هذه؟

– حبيبَتي.

– هل تحب؟ لم تخبرني بهذا الأمر من قبل!

– نعم.

– ما اسمها؟

توتر بشدة حين سألته عن اسمها، ثمّ حاول تمالك حاله، وقال:

– جميلة.

نظرتْ له بتعجبٍ وكأنّها تُدرك أنّه يكذب عليها الآن. تمتم داخله: «نعم، أنتِ المرأة التي أحبها وإنّكِ بالفعل جميلة، ما تشعرين به هو الحقيقة، وما أخبرتكِ به قبل قليل كان الكذب».

أرادتْ أن تغيّر حديثها الآن، فقالتْ: «ألا يوجد أيّ تطور بشأن عائلة الرضوان؟».

– لا، ولكن لا تفقدي الأمل، سنجدها عن قريب.

– متى؟ حقًا أنا متلهفة إلى هذا اليوم.

– سيأتي هذا اليوم، أعدكِ بذلك.

أضاف:

– إن كان حصولنا على الأشياء التي نريدها سهلًا، فلن نشعر بقيمتها أبدًا عندما نملُكها.

***

بعد عدة أيام، كان جالسًا على المائدة يتناول الطعام، نهض على الفور حين أخبره (محمد) أنّ (ياسين) يريد رؤيته و(سلمى)؛ لأنّه يوجد تطور بشأن عائلة الرضوان. بعد مرور عشر دقائق، ذهب (بدر) وبرفقته (سلمى) و(محمد).

أخبرهم أنّ عائلة الرضوان الذين يبحثون عنها كانتْ تعيش في طامية، وأنّهم رحلوا منها قبل عدة أعوام، حدقتْ عينا (سلمى) من المفاجأة! وشردتْ تفكر فيما يربطها بـ هذه العائلة! قاطع شرودها (بدر)، قائلًا:

– سلمى، هل تتذكري طامية؟ هذا المكان الذي اختطفونا به.

أجابتْ:

– نعم، أتذكر أنّه ذات المكان.

قال (ياسين):

– هيا اصعدوا إلى السيارة، سنذهب إلى هناك الآن، أعلم مكان المنزل الذي كانوا يسكنونه.

قالتْ:

– يجب أن ننتبه، ربما ما زالتْ تلك العصابة هناك، وإن رؤونا لن يدعونا نرحل هذه المرة.

قال (ياسين):

– لا تقلقوا، لن نذهب وحدنا، سنصطحب معنا عدة رجال.

قال (بدر):

– حسنًا، هيا لنذهب.

الآن وصلوا إلى طامية، تنهدتْ بعمقٍ وحدّقتْ ثواني في المنزل الذي أمامها الآن. إنّه المنزل الذي رأوا فيه الأرض الخاوية، عندما هربا من العصابة. كانتْ تشعر منذ اللحظة الأولى أنّ هناك أمر يربطها بهذا المنزل؛ عندما دخلتْ إليه شعرتْ بإحساسٍ عجيب، وكأنّها كانتْ تعيش في هذا المنزل منذ زمن بعيد!

قالتْ:

– بدر، هل تذكرتَ هذا المنزل؟ دخلنا إليه لنبحث عن الماء.

– نعم، أتذكره.

حدّق الرجل الفلاح الذي يحرس المنزل فيهم، وقال:

– ما الأمر يا رجال؟ ماذا تريدون من هذا المنزل؟

نظرتْ (سلمى) إلى الفلاح بأعين غائرة، وقالتْ:

– رجاءً أخبرني كل شيء تعلمه عن مالك هذا المنزل!

– حسنًا، ولكن لا أعلم الكثير عن هذا الأمر.

– أخبرني رجاءً بأيّ شيء تعلمه.

– يُحكى أنّ هذا المنزل مِلك لعائلة مرموقة، وكانتْ هذه العائلة مطاردةً من قبل عصابة كبيرة، واختبؤوا في هذا المنزل عدة سنوات، ولكن ذا يوم استطاعتْ هذه العصابة أن تصل إليهم وحطّموا كل شيء بهذا المنزل وقتلوا جميع أفراد العائلة.

– وإن قتلوا جميعَ سكان المنزل كما تقول، فمن الذي استأجرك من أجل أن تحرس هذا المنزل؟

– لا أعلم من هو حقًا، لكنّه يأتي كل شهرٍ يتفقد المنزل ويعطيني المال ويذهب.

– متى آخر مرة أتى بها؟

– قبل أسبوع.

– هذا يعني أنّه سيأتي بعد ثلاثة أسابيع.

– نعم.

– أهذا كل ما تعلمه؟ ألا يوجد شيء آخر؟

ضمّ شفتَيه، ثم تمهل لحظاتٍ، وقال:

– لماذا تبحثين عن هذه العائلة؟

– لأنّي من هذه العائلة، ولكنني لا أعرف من أكون تحديدًا.

– كيف لا تعلمين؟

– إنّها حكاية مُعقّدة، حقًا كل ما أعرفه أنّي أنتمي إليهم.

قال بنبرةٍ قلقة:

– ربما أستطيع مساعدتك في هذا الأمر، ولكن رجاءً إن استطعتِ أن تصلي إلى ذاك الذي استأجرني من أجل حراسة المنزل، لا تخبريه بهذا الأمر.

– حسنًا، لا تقلق.

– هناك حجرة سرية في المنزل مغلقة بإحكام، ولكن لا أملك المفتاح، إنّه مع مالك المنزل ،ايضاً مع رجل أسمهُ رشاد يأتي دائماً كى يتفقد الحجره ويذهب على الفور .

– كيف سنستطيع أن نعلم ما بداخلها ؟

– لا أعرف حقًا، لكنني أخبرتك بكل شيء أعرفه.

قال (ياسين الأسمر):

– لا تقلقي، سنستطيع أن نفتح تلك الحجرة دون أن يدرك أحد.

– حسنًا، يا ليت!

اتبَعوا الفلاح وصعدوا السلم الذي يوصل إلى الحجرة السرية، ثم أخرج (ياسين) من جيبه قطعة حديدية صغيرة، ثم دق على القفل المغلق عدة دقات حتى استطاع فتحه.

ابتسم (محمد)، وقال:

– يبدو أنّك سارقٌ محترف.

أجابه (ياسين) ضاحكًا:

– نعم، وهناك المزيد الذي لا تعرفه عني.

دخلوا إلى الحجرة المظلمة، والمليئة بالغبار. أشعل (بدر) ضوء هاتفه، ثم نظروا داخل الحجرة جيدًا فرؤوها فارغة، لا يوجد بها شيء سوى خزانة داخلها ثياب لرجل، قديمة، لا تُشبه ملابس الناس حاليًا.

نظرتْ (سلمى) إلى (بدر) بتعجب، وقالتْ:

– هل هذه الحجرة السرية لا يوجد بها سوى ثياب قديمة؟ يبدو أنّ مالك هذا المنزل ليس طبيعيًا.

– لا نعرف يا سلمى، ربما هناك أمر لا نستطيع أن ندركه؛ بالتأكيد لن يُغلق هذه الحجرة بإحكامٍ إلّا إذا كان هناك أمر هام، لا أظنّ أنّه ساذجٌ حتى يغلق على هذه الثياب.

– لا أعرف حقًا، هيا لنرحل الآن؛ سأفقد عقلي من هذا المنزل.

– حسنًا.

أغلق (ياسين) القفل كما كان فباتَ كأنّه لم يلمسه أحد، ثم شكر الرجل الفلاح وأعطاه رقم هاتفه وطلب منه أن يهاتفه عندما يأتي مالك المنزل على الفور.

عادتْ إلى المنزل ولكن بذهنها ضجيج كبير، الأمر أصبح معقدًا! كانتْ تظن أنّه ربما تكون الحكاية بسيطة، ولكن تأكدتِ اليوم أنّها كبيرة للغاية. واستاءتْ عندما تذكرتْ والدتها، لماذا لم تخبرها الحقيقة؟ ربما كان الأمر ليصبح أسهل عليها! لكنها تشعر بالقلق وترودها أفكار سيئة عن هذه الحكاية التي لا تعلم خباياها.

كادتْ (سلمى) أن تقترب إلى حجرة الضيوف، لكن أوقفتها والدة (بدر)، وقالتْ لها:

– من أنتِ وأين عائلتكِ؟ ما هو الشيء الذي يجمعك بـ ابني؟ وأيضًا، كيف عائلتكِ تسمح لكِ أن تسكني في منزل عائلة لا تربطكِ بها أيّ صلة؟

نظرتْ لها بيأسٍ، ثم أجابتها:

– إنّكِ محقة، سأذهب الآن.

شاهد (محمد) أمه من بعيد وهي تتحدث مع (سلمى)، ركض وراءها عندما خرجتْ من المنزل في غضب شديد، والدموع تتساقط من عينيها. ظلّ ينادي عليها لم تجبه؛ فوقف أمامها فجأة ومنعها من الذهاب.

قالتْ لاهثةً:

– اتركني أذهب يا محمد، أمك محقة في كل ما قالته.

– لن أتركِكِ، وأيضًا (بدر) لن يسمح بذهابك، أمي لا تعلم ما هو سبب تواجدك في قريتنا، عودي إلى غرفتك وسأتحدث معها.

– لا أريد أن أزعج عائلتكِ بتواجدي.

– لا تتحدثي هكذا، لسنا منزعجين من تواجدك، وأيضًا أمي ليست قاسية مثلما يبدو عليها، ولكن أحيانًا تتفوه بكلمات قاسية دون أن تشعر بما تقول، هيا عودي رجاءً وسأتحدث معها.

شردتْ تفكر للحظاتٍ، ثم عادتْ معه. نعم حزنتْ بشدة من حديثها، ولكن ليس في استطاعتها سوى الانتظار في المنزل حتى يمر هذا الشهر ويذهبوا إلى منزل عائلتها في

طامية، وعندما يأتي مالكه تستطيع أن تتحدث معه وتعرف الحقيقة، بعدها ستذهب عن وجه تلك المرأة السليطة التي لا تحب رؤيتها أبدًا، ولكن لا تستطيع أن تترك منزل (بدر) في الوقت الحالي، ستتحملها فقط حتى تستطيع العثور على عائلة الرضوان!

***

{٣}

تمر الأيام مسرعةً، قلبها يتعلق كل يوم به أكثر من ذي قبل، تحاول جاهدة إخفاء مشاعرها، لكن تكشفها عيناها دائمًا. كما قال المتنبي «العين سراج الروح، بلغة العين، يشعر العشاق ببعضهما البعض».

عندما تكون منزعجةً وتراه تنسى حزنها وتبتسم، كانتْ تظن أنّ وصولها لعائلتها هو كل ما يهمها، لكن دون أن تشعر أحبته؛ من الممكن لأنّه وقف جانبها عندما تركها الجميع! وهذا كافيًا لتحبه.

أما هو فلا يحاول إخفاء مشاعره أبدًا.. دائمًا يخبرها بعينيه أنّه يعشقها. تذكرتْ غيرته عليها عندما كانتْ جالسةً تتحدث وتمزح مع (محمد) أخيه قبل أسبوع، غضب حينها بشدة وعاملها بقسوة وكأنّها أصابته بسهم في قلبه. هكذا الرجل الشرقي، دائمًا يكون شديد الغضب عندما تمزح حبيبته مع رجل ما حتى وإن كان أخاه. كلّما تذكرتْ غيرته عليها تبتسم. المرأة دائمًا تحاول أن تظهر أنّها منزعجة من غيرة الرجل عليها، لكنها تكون عكس ذلك؛ تكون في أسعد حالاتها؛ لأنّه هكذا يشعرها بقيمتها وأنوثتها وأنّها مرغوب فيها من رجل يعشقها كثيرًا. اختفتِ ابتسامتها عندما تذكرتْ حكايتها وإلى أين ستصل، هل سيبقى جانبها حتى بعدما تصل إلى عائلتها؟ ماذا لو الحقيقة قاسية؟ هل سيتحملها أيضًا أم لا؟ تمتمتْ داخلها تدعي بأن يحدث كل ما هو خير.

دلفتْ إليه وبقيَتْ واقفةً وراءه للحظات، تنهدتْ بعمق، ثم قالتْ: «لماذا أنت مستيقظ في الصباح الباكر؟».

– ربما أفكر في أمرٍ ما!

– ما هو هذا الأمر الذي جعلك تستيقظ مبكرًا هكذا؟

– أنتِ!

– أنا! لماذا؟

– لا أستطيع أن أخبركِ الآن، ربما لاحقًا.

– حسنًا.

خجلتْ كثيرًا عندما انتبه لها وهي تتأمله! تقابلتْ عيناه مع عينيها، عندما كانتْ شاردةً تفكر فيه. حاولتْ إخفاء خجلها فأخبرته أنّها ذاهبةٌ إلى المرحاض، ويبدو أنّه فهم أيضًا أنّها تحاول الهروب من هذا الموقف.

دخلتْ إلى المرحاض وهي تشعر بتوتر شديد. حاولتْ نسيان الموقف، لكن لم تستطع، وأيضًا لم تستطع نسيان نظرة عينيه، لا تدرى لماذا نظرته معلّقة برأسها الآن!

قالتْ: «مهما يكن يجب أن أتمالك حالي أكثر من ذلك، ماذا يظنني الآن؟». حاولتْ أن تسترخي قليلًا، زفرتْ زفيرًا مريحًا، ثم نظرتْ إلى المرآة وقالتْ: «لا أفعل شيئًا خاطئًا، إنّي أحبه، والحب ليس معصية».

«جمال العشق النظرات.. دائمًا النظرات تتكلم وتعبر عن ما بداخلنا أكثر من الكلمات».

***

المقهى:

قال (ياسين الأسمر):

– هل ما زلت غاضبًا من حديثي معك؟

- لا.

- يجب أن تعلم أنّي خائفٌ عليك، كنتَ دائمًا لا تنصتُ لأيّ أحد، وتركتِ عائلتك وأصدقاءك وذهبتَ دون أن تبالي لهم، منذ أن كنتَ طفلًا صغيرًا وأنت عنيد كثيرًا، وهذا العِناد سبب لك الكثير من المعاناة، أنا وأحمد صديقك فقط نعلم ما حدث معك في القاهرة، وأنّك أقحمتَ حالك في أمورٍ ليس في استطاعتك أن تنجو منها بسهولة.

أضاف: «أيضًا سلمى إن علمتْ بالسر الذي تخفيه ربما لا تهتم لأمرك ولن توافق أن تكون في حياتك، حقًا لا أخبرك هذا الحديث لأحبطك، ولكن أخشى أن تؤلمك وتقسو عليك وأنت لن تتحمل غضبها، سلمى ليستْ مثل الفتيات التي التقيتهنّ؛ إنّها عنيدة مثلك تمامًا».

- أعلم أنّها عنيدة مثلي، لكن الذي يحب سيسامح حبيبه على أخطاء الماضي، جميعنا بشر ونخطئ، ولكن ندرك في لحظة ما أننا مذنبون فنعود من غفلتنا، إنّ رب العالمين يغفر لنا، فلماذا هي لن تغفر؟

- لكنك لا تعلم حقيقة مشاعرها، ربما لا تحبك هي أيضًا.

- إنّها تحبني، أثق في إحساسي كثيرًا، أرى مشاعرها في عينيها، تتبعني بنظراتها دائمًا، تسألني العديد من الأسئلة التي تؤكد لي حبها، لا تستطيع أن تنام قبل أن تراني في المساء ونتحدث.

- ربما تحبك مثلما تقول، ولكن يجب أن تتحمل غضبها عندما تعلم أسرارك.

- سأتحمل كل شيء من أجلها.

أضاف:

– هل تعلم أنّي تغيرتُ للأفضل منذ أن أدركتُ أنّي أحبها؟ حقًا غيّرَتْ في حياتي العديد من الأمور.

– أريد أن أخبرك بأمر ما.

– أنصتُ لك.

– يجب أن تعتذر من أحمد على ما فعلته، إنّك فعلتَ معه أشياء سيئة عديدة، إنّك حقًا ظلمته، كان أقرب صديق لك، ولكن غيرتك منه جعلتك تؤذيه بأبشع الطرق، فلذلك يجب أن تعتذر منه.

– أعرف ذلك، وكنتُ سأعتذر منه قريبًا؛ لأنّي أعلم أنّ ما فعلته معه ليس جيدًا، وإنّما آلمته كثيرًا، وإنّي نادمٌ حقًا من قلبي.

عاد إلى المنزل وهو يشعر بالندم على ما فعله، كان يجب ألّا يسبب الأذى لصديق طفولته (أحمد)، حاول أن يتمالك حاله وهاتفه.

– من المتحدث؟

– أنا بدر.

صمتَ للحظاتٍ، ثم أجابه بنبرةٍ حزينة: «ماذا تريد يا بدر؟».

– أريد أن أعتذر منك.

– ولماذا الآن؟ تأخرتَ كثيرًا عن هذا الاعتذار.

– أعلم أنّي تأخرت، ولكنّي نادمٌ الآن من قلبي على أفعالي الرديئة معك.

أردف: «آسف يا أحمد، فلتنسَ كل شيء في الماضي واجعلنا نبدأ من جديد».

– لا أعلم ماذا أقول، ولكن كيف سأنسى أنّك السبب في تركي لوظيفتي وأيضًا المشاكل التي فعلتها واتهمتني بفعلها؟ كيف استطعتَ أن تفعل ذلك في صديق طفولتك؟ أنا أول من وقف جانبك عندما رحلتَ من قريتك وأتيتَ إلى القاهرة، كنتُ أشاركك كل شيء، ولكن أنت ماذا فعلت؟ سببتَ لي الكثير من المعاناة.

تابع: «ما الذي جعلك قاسٍ هكذا ولا تشفق على أحد؟ أعلم أنّك الآن هاربٌ من ما فعلته في اليوم السابق لسفركَ إلى الفيوم، أتوا وسألوني إلى أين ذهبت، أخبرتهم أنّي لا أعرف عنك شيء وأنّ علاقتنا انتهتْ منذ زمن طويل، لم أخبرهم أنّك في الفيوم، لماذا أقحمتَ حالك في كل هذه المصائب؟».

– كنتُ مثل المغَيّب عقله، لا أعرف حقًا كيف فعلتُ كل هذه الأشياء! لكن الآن أؤنب نفسي على أفعالي السيئة في الماضي.

تابع: «رجاءً انسَ أفعالي السيئة، وتذكر أيام طفولتنا وكيف كنّا مقربَين من بعضنا كثيرًا، أقرب من الإخوة، هل نسيتَ أيامنا الممتعة؟».

– لم أنسَ، ولكنّي أيضًا غاضبٌ منك كثيرًا.

– أعرف، ولكن غضبك هذا سينتهي مع مرور الوقت بعد أن تتأكد أنّي تغيرتُ وأصبحتُ أفضل من ذي قبل.

أردف: «سامحني يا أحمد!».

تمهل لحظات، وأجابه: «حسنًا، سامحتك يا بدر، ولكن يا ليتَ لكلّ إنسان ظلمته أن يسامحك أيضًا!».

– يكفي أنّك سامحتني الآن، وإن شاء الله سيسامحني جميع من ظلمته أيضًا.

شعر بالسرور بعدما أغلق مع صديقه، كان يعلم أنّ (أحمد) قلبه طيب وسيسامحه، لكن ماذا سيفعل مع والده؟ حتى الآن لم يتحدث معه كلمة واحدة. تمتم لحاله، وقال «كيف كنتُ إنسانًا بشعًا هكذا؟ أين كان عقلي؟ لا أعرف!».

***

١٩٨٥:

نهض (فهد) فجأة وعلى وجهه تعابير الغضب حين سمع ما قاله (أحمد) له، صاح في وجهه: «ماذا؟ هل تريد أن تتزوج أختي؟ يبدو أنّك فقدتَ عقلك! قبل سنوات وعائلتك حاربتنا بشتّى الطرق، تتمنّى أن تسلب منّا أرضنا، وإنّك تعلم أنّ زواجك منها مستحيل، من أين أتَتْ إليك تلك الجرأة؟».

نظر له (أحمد) باستياء، وأخبره بأنّ المشاكل التي بينه وبين عائلته لا شأن له بها، هو يحب أخته ويُقدّرها ولن يجعل علاقته بها تتأثر بشأن مشاكلهم.

لم يقتنع (فهد) بكلامه وطرده من المنزل بكل عجرفة، وهدّده بأنّه إن لم يبتعد عن أخته سوف يقتله ويرسل جسده إلى عائلته؛ عقابًا له بأنّه تجرأ وعشق أخت العمدة (فهد).

بعد رحيل (أحمد)، وقفتْ (وفاء) في وجه (فهد)، وقالتْ له: «لن أتخلى عن أحمد أبدًا، مشاكلكم هذه ليس لدينا شأنٌ بها، وافِق على زواجنا وسأعدك بأنّ أحمد سيكون معنا بعد الزواج ولن أجعله يلتقي أو يتحدث مع أيّ شخص من أفراد عائلته، رجاءً!».

أجابها: «من أين لكِ تلك الثقة؟ كيف سوف أصدق هذا الكلام؟ ربما قد يكون متفقًا مع عائلته بأن يتسلل إلى عائلتنا ويفعل ما لم يستطع فعله الجميع».

شردتْ للحظاتٍ، ثم قالتْ: «لماذا يوجد بين عائلتنا وعائلته خلافات؟ لم أفهم حتى الآن سر تلك الحكاية!».

قال لها:

– حسنًا، هل تريدين أن تعلمي كل شيء؟

– نعم.

– قبل عشرين عامًا، والدنا الشيخ حليم، كان صديق والد عائلة أحمد، وكان يوجد رابط كبير بينهم، الحب والأخوة، ولكن تحوّلتْ تلك المشاعر النبيلة إلى عداوة وكراهية حين وافق الأستاذ محمد حسين أن يبيع أرضه إلى أبى، أبي كان طيب القلب وكان لا يتوقع الغدر من صديقه أبدًا، هذه الأرض ليستْ مثل باقي الأراضي، وإنّما تحمل داخلها العديد من الأسرار! في جزء من تلك الأرض مدفونٌ أثار وذهب يعود إلى أجدادنا الفراعنة قبل الميلاد، مالك الأرض لم يكن يعلم بأنّ الأرض فيها كنز، وكان يظن بأنّها أرضٌ ملعونةٌ؛ لأنّها لا تنمو فيها الزراعة وكلّما زرع أيّ شيء يتلف ويفسد؛ فـ فقد أمله بتلك الأرض وقرر أن يبيعها بأيّ سعر ويسافر إلى أمريكا كما كان يتمنى، بالفعل باع الأرض إلى أبي وظنّ أنّه هو الرابح حينها؛ لأنّه من هذا الأحمق الذي يوافق بأن يشتري أرضًا ملعونة! أبي كان يعلم أنّ هذه الأرض بها كنز؛ جدنا أخبر أبي أنّ هذه الأرض يُحكى عنها أنه يوجد بها كنز، ولكن لا أحد كان يصدق تلك الأحاديث، إنّما جدك كان يقرأ كثيرًا عن التاريخ وعن الأسر الفرعونية؛ فكان مدركًا بأنّ كل هذه الحكايات ربما تكون حقيقية، ولكن الجميع لم يصدق، فأبي اقتنع بحديث جدنا وكان منتظرًا أن تحين الفرصة المناسبة ويشتري تلك الأرض. أبي كان يثق بصديقه كثيرًا فأخبره بكل شيء علمه بشأن الأرض، ولكن لم يكن يعلم أنّه سيحقد عليه وأصبح يلح عليه بأن يشاركه بتلك الأرض أو ستنتهي صداقتهم للأبد، تفاجأ أبي من حديثه، ولكنه لم يسمح له بأن يستغل طيبته في أن يشاركه رغمًا عنه في الأرض، فحسم أمره وقرر أن يبتعد عن صديقه، ولكن لم ينتهِ الأمر هنا، بل ظهر وجهه الآخر وحارب أبي وعائلتي من أجل تلك الأرض، وذا يومٍ وجدْنا أبي مقتولًا

وملقى على الأرض في الساحة، حينها أدركنا أنّه هو من قتله! لكن لم نستطع إثبات الأمر عليه.. هل علمتِ الآن لماذا لا أريدك أن تقتربي من تلك العائلة؟ سيقتلونكِ كما فعلوا مع أبي.

تابع:

– هذه العائلة خائنة، لا تعطِ أمانَ لأيّ شخص منها.

نظرتْ له بذهولٍ، وقالتْ:

– لكن أحمد لم يفعل معنا أي شيء سيئ، ما ذنبه؟ نعم لا أريد أن أكون جزءًا من هذه العائلة، ولكن أريد أحمد فقط، حقًا لن أستطيع أن أبتعد عنه!

نظر لها بحدّة، وقال:

– إن لم تنسي هذا، أحمد، سوف أقتله، أمامك خياران؛ أن يبقى على قيد الحياة وهو بعيد عنك، أم أقتله؟

أشاحتْ بنظرها عنه، ثم ركضتْ إلى غرفتها. اتبعتها (فاطمة)، وحاولتْ أن تواسيها، وهي تبكي بشدة.

قالتْ (فاطمة):

– لا تقلقي، فهد طيب القلب ولن يؤذي أحمد، ولكنّه يخشى أن يصيبك مكروهًا بسببهم، أنا أكثر من رأى معاناة فهد والأمور السيئة التي أصابته من تلك العائلة.

– لن أستطيع أن أفارق أحمد، أقسم لكِ سأموت من دونه!

– لا تحاولي أن تقفي بوجه فهد أنتِ من ستخسرين.

– اتركيني لحالي الآن رجاءً.

ظلّتْ تتمتم بأنّها لن تفارق (أحمد) أبدًا، وشعرتْ أنّها مخدرة فنامتْ حتى صباح اليوم التالي:

استجمعتْ قواها وذهبتْ إلى المكان الذي يلتقون به دائمًا، وظلتْ واقفة على أمل أن يأتي وكأنّ قلبها كان يعلم أنّه سيأتي إليها. بعد مرور ساعة قد أتى، نظرتْ له بوجهٍ شاحب، حزن حين رآها في تلك الحالة، أخبرته عن الحديث الذي دار بينهم أمس بعد رحيله، وإن لم يبتعد عنها سيقتله (فهد).

لمس خصلاتها السوداء برفق، ثم قال بنبره حنان:

– لا تقلقي، كل هذا سيمر ولن يستطيع أي إنسان أن يفرقنا أبدًا.

– لا أعلم حقًا من أين لك ذلك الهدوء! كيف سيمر؟ وإن مر لن يمر بسلام.

– هل تثقين بي أم لا؟

– نعم، أثق بك كثيرًا.

– إن كنتِ تثقين بي كوني بخير، ولا أريد رؤيتك هكذا مرة أخرى.

– حسنًا.

– انتظريني الخميس القادم؛ سنتزوج دون أن نخبر أحد، فعلنا كل ما بوسعنا من أجل إقناعهم ولكن لم يقتنعوا، ولن يقتنعوا أبدًا، لهذا الأمر سنتزوج ونترك لهم كل شيء، ومنزلنا أصبح جاهزًا من أجل أن نعيش فيه.

تمهلتْ لحظاتٍ، ثم قالتْ:

– موافقة، سأنتظرك الخميس القادم.

***

سنورس / الفيوم

لا يعلم لماذا أصبحتْ تهرب من رؤيته، ربما لأنّها تحبه كما يحبها! لهذا أصبحتْ تهرب من رؤيته دائمًا. لا يعلم كيف سيتحمل فراقها ذا يوم! باقي أسبوع على هذا اليوم الذي سيلتقون به بمالك المنزل وربما حينها سيعلمون الحقيقة. ولكن، هل ستتركه بعدما تعلم كل شيء؟ تراوده أفكار سيئة عديدة، إن لم تتركه بعدما تعلم أين عائلتها ستتركه بعدما تعلم بالسر الذي يخفيه عنها وعن الجميع. مهما كان ما سيحدث سيبقى لديه أمل أن تكون في حياته دائمًا.

ينتظرها منذ ساعة في الأرض. عندما تستيقظ تدخل الشرفة أولًا وتبقى فيها لدقائق، اعتاد على رؤية وجهها في الصباح، ويومه لا يكتمل دون رؤية وجهها الجميل. نظر لها عندما وقفتْ في الشرفة، وقال:

– وأخيرًا! الشمس أنارتِ الأرض.

قالتْ وهي تبتسم وبفخر:

– نعم، ولكن لا تقترب من الشمس كثيرًا؛ ربما تحرقك.

ضحك، ثم تابع:

– هيا انزلي، أنتظرك.

– حسنًا.

جلسا تحت الشجرة بعدما نزلتْ وظلّوا لدقائق صامتَين، وكأن لصمتهما لغة لا يفهمها سوى العشاق. كل واحد منهما كان يظن أنّه لن يحب مرة أخرى، ولكن القدر

دائمًا يخبئ لنا كل ما هو جميل، دون أن نشعر نبدأ من جديد، ونعيش حكايات أخرى مع أشخاص أخرى، أحيانًا النهايات التي لا نردها تكون هي الأفضل؛ ربما الحياة تجمعنا بما يروق لنا.

حاولتْ أن تنهي الصمت الذي بينهما، وقالتْ:

– متى ستصالح والدك؟ إنّه يراقبك عن بعد دائمًا.

– قريبًا.

– لا تنتظر أكثر من ذلك، يجب أن تتحمل كل ما سيفعله حتى وإن لكمك على وجهك.

أردفتْ:

– إنّك المخطئ، زينب أخبرتني كل شيء.

تمتم: «حسنًا يا زينب! سوف أحاسبك، لا تستطيعين أن تخفي أي سر».

– ماذا تقول؟ لم أفهم.

– أعلم أنّي مخطئٌ في هذا الأمر، سأتحمل قسوته، وسيسامحني أعلم ذلك.

بينما كانا يتحدثان، سقطتْ بجوار رأسهما برتقالة من فوق الشجرة، حاول كل منهما أن يحصل عليها أولًا، وبينما كادتْ سلمى أن تحملها، حملها هو أولًا، وضحك وقال:

– ماذا تذكرتِ عندما سقط على رأسنا البرتقال؟

– لم أتذكر شيئًا، بل كنتُ سأفقد ذاكرتي بسببها.

ضحك وقال:

– أتحدث عن نيوتن، عندما كان جالسًا في ظل شجرة ذا يومٍ سقطتْ عليه تفاحة، من خلالها اكتشف الجاذبية الأرضية.

قالتْ:

– وأنت ماذا اكتشفتَ عندما سقطتِ البرتقالة؟

– اكتشفتُ أنّي أحبك.

حدقتْ عيناها من المفاجأة، ثم نظرتْ أرضًا وأصبح لون وجهها أحمرًا. كادتْ أن تنهض ولكنّه أوقفها، فعادت إلى مجلسها مرة أخرى.

قال:

– لماذا تريدين الهروب؟

– ولماذا سأهرب؟

مسك يديها، وقال: «لا تحاولي أن تخفي مشاعرك أكثر من ذلك، أعلم أنّكِ تحبينني كما أحبك».

شعرتْ بتوتر شديد، ثم نظرتْ أرضًا وقالتْ بنبرةٍ منخفضة:

– نعم أحبك.

ابتسم، وقال:

– لن أستطيع أن أخلد إلى النوم اليوم؛ سأظل الليل بأكمله أتذكر نبرة صوتك الرائعة وهي تنطق كلمة أحبك.

أردف:

– وقعتُ في حبكِ منذ اللحظة التي هربنا منها من العصابة ونمتُ بجوارك في الأرض الخاوية، حينها تسارعتْ نبضات قلبي وأنا بجوارك، شعرتُ بقربك وكأني مالك هذا العالم.

لمعتْ عيناها، وقالتْ:

– وأنا لا أعلم متى أحببتكَ حقًا، ولكنّي أحبك من كل قلبي.

نزع قطعة طويلة من ورق الشجر التي في الأرض، ثم صنع منها خاتم. قبّل يديها وألبسها الخاتم، وقال:

– منذ هذه اللحظة وأنتِ ابنتي وحبيبتي وكل شيء لي في هذه الحياة.

كادتْ أن تتحدث، ولكن لمحتْ والدته تسير نحوهما، نهضتْ على الفور وتركته.

قبّل البرتقالة، وقال والسعادة تغمر قلبه :

أين كنتِ؟ لماذا لم تسقطي منذ قبل؟ كيف سآكلك الآن؟!

***

بعد مرور أسبوع:

ذهبوا مرة أخرى جميعًا إلى طامية، بعدما هاتفهم ذلك الفلاح وأخبرهم أنّ مالك المنزل تحدث معه قبل دقائق وقال أنّه في طريقه إلى المنزل. كانتْ (سلمى) طوال الطريق قلقة بشأن ما سيحدث وماذا سوف ترى وهل ما تراه سيروق لها أم لا، تنهدتْ بعمق عندما وقفوا أمام المنزل. ألقوا التحية على الرجل، ثم اختبؤوا بجانب الأرض، ولكن صعد فقط (ياسين الأسمر) فوق بجانب الغرفة السرية؛ ربما يصعد مالك المنزل إلى الأعلى ويرى ما سر تلك الحجرة.

وقفتْ سيارة سوداء وبداخلها امرأة ورجل، لم يستطعيوا أن يروا جيدًا من في داخلها، بقوا لدقائق داخل السيارة وفجأة اتسعتْ حدقة عينا (سلمى) عندما رأتْ ذلك المشهد! رجل من أفراد العصابة الذين اختطفوها، وبرفقته والدتها، نزلا من السيارة. كاد يتوقف قلبها من الصدمة، جهشتْ بالبكاء عندما أدركتْ كل شيء؛ هي من اختطفتها! هي! كيف لأم أن تختطف ابنتها وتفعل بها هذا الأمر؟

همستْ في أذن (بدر) وأخبرته أنّ تلك المرأة التي مع الرجل هي والدتها، تفاجأ هو أيضًا، لم يتوقع أبدًا بأنّ والدتها وراء كل شيء، ولماذا؟ كاد (بدر) أن يذهب إليهم وهوغاضب ولكن أوقفته (سلمى). زادتْ رغبتها بأن تعرف سر الحكاية، وإن ذهب (بدر) إليها الآن ستعلم والدتها أنّها هنا وستجبرها على أن تعود معها إلى القاهرة الآن، حينها لن تستطيع أن تعلم أي شيء بشأن عائلة الرضوان. حاولتْ أن تتمالك حالها، يكفيها ما استطاعتْ معرفته الآن، والمتبقي سيوضح مع الوقت كما حدث الآن، وأخيرًا علمتْ من هو الخاطف! بقيَ الرجل في السيارة بعدما صعدتْ والدتها لأعلى. شردتْ (سلمى) تفكر ما هو الرابط بين هذا الرجل ووالدتها.

توجهتْ والدتها نحو الحجرة السرية، حاول (ياسين) أن يراقبها جيدًا دون أن تنتبه؛ اختبأ بعيدًا في زوايةٍ ما؛ ليستطيع أن يرى جيدًا الحجرة بأكملها من الداخل.

فتحتِ الباب وتوجهتْ نحو الخزانة وألقتْ كل شيء فيها جانبًا، ثم أزالتِ الخشبة الخلفية منها وعبرتْ من خلالها إلى غرفة صغيرة أخرى. الآن عرف ما هو سر تلك الحجرة! انتظر حتى انتهتِ المرأة مما تفعله، لم يستطع أن يرى جيدًا ما في داخل الحجرة الأخرى وماذا فعلتْ فيها، ولكن يبدو أنّها تخفي أمرًا هامًا للغاية. بعد دقائق عادتِ المرأة من المخبأ، ثم رتبتْ كل شيء كما كان، وأغلقتِ الغرفةَ ونزلتْ إلى السيارة. صعدتْ إليها وتحدثتْ مع الحارس لثوانٍ، ورحلتْ.

هاتف (ياسين الأسمر) (بدرَ) وقال لهم أن يصعدوا لأعلى على الفور. صعدوا إليه، وجدوه فاتحًا باب الحجرة وواقفًا ينتظرهم، سألوه بشأن ما يحدث، لم يتفوه بكلمةٍ إنّما توجه نحو الخزانة ثم أزال كل شيء وفعل كما فعلتِ المرأة قبل قليل. دخلوا من الممر السري إلى الحجرة، تفاجؤوا حين رأوا ما بداخلها؛ رجلٌ شَيخ، وعلى جسده علامات التعذيب!

حاولتْ (سلمى) أن تتحدث مع الرجل، ولكن يبدو أنّه ليس طبيعيًا؛ لم يتفوّه بأيّ كلمة. تساقطتْ دموعها من عينيها؛ فقد راودتها أفكارٌ سيئةٌ عديدةٌ نحو والدتها، ظنّتْ أنّها رئيسة عصابة! لا تعلم ماذا ستفعل الآن وما الذي لم تكتشفه عنها بعد! كانتْ تظن أنّها تعرف والدتها جيدًا، ولكن الآن تأكدتْ أنّ تلك المرأة التي ربتها ليستْ هي التي رأتها قبل قليل.

بحثوا في الحجرة جيدًا، واقتربوا من (محمد) عندما عثر على بعض الأوراق والرسائل، سلبتْ منه (سلمى) الأوراق، ثم فتحته وبدأتْ أن تقرأ، أدركتْ أنّها رسائل غرامية! قرأتْ عدة أوراقٍ، ولكن يبدو أنّهم لن يفيدوها بشيء.

اقتربتْ من الرجل الشَيخ والبلاهة على وجهه، ثم حاولتْ أن تأثر عليه وترجته بأن يخبرها من هو، ولماذا هو محتجزٌ في هذه الحجرة، ومن هي المرأة التي زارته قبل قليل!

نظر الرجل إليها بحزن، ثم حاول أن يصغي لها ويتحدث، لكن لم يستطع أن يتحدث وأشار تجاه صندوق صغير بجوارها. حملتْ الصندوق وفتحته، حدقتْ عيناها عندما رأتْ صور لولدتها مع الرجل الذي كان في الصورة التي أخبرتها عنها جدتها قبل أن تموت. أيضًا رأتْ عدة صور لهذا الرجل الذي أمامها الآن مع الرجل الذي من عائلة الرضوان، وعثرتْ على ورقة صغيرة مكتوبًا فيها عنوان منزل في مدينة الأقصر.

اقتربتْ (سلمى) من الرجل، وضغطتْ عليه من أجل أن يخبرها من هو وماذا يكون

في حياتهم. نظر لها الرجل بيأس ولم يستطع أن يتحدث، تمهلتْ لحظاتٍ، ثم قالتْ:

– رجاءً أريد أن أعرف شيئًا واحدًا فقط، هل عنوان المنزل المدوّن على تلك الورقة هو منزل عائلة الرضوان؟

اقتربتْ منه ليستطيع القراءة، بعد لحظاتٍ أومأ برأسه إيجابًا. زفرتْ زفيرًا مريحًا، وقالتْ بصوتٍ مفعم بالأمل:

– وأخيرًا سوف أعلم أين عائلتي!

قال (بدر):

– هل سنصطحب هذا الرجل معنا أم سنتركه؟

أجابتْ (سلمى) بحماسٍ كبير:

– بالتأكيد سنصطحبه معنا؛ فيبدو أيضًا أنّه من هذه العائلة.

– من أين عرفتِ؟

– من الصور، يبدو أنّه هناك رابط بينه وبين هذه العائلة.

أومأ الرجل رأسه إيجابًا عندما قالتْ أنّه من هذه العائلة. حملتْ (سلمى) الصور والورقة المدوّن عليها عنوان المنزل، وقالتْ: هيا لنذهب إلى الأقصر.

قال (بدر):

– لن نستطيع أن نذهب الآن.

– لماذا؟

– هل نسيتم؟ غدًا سيتزوج أخي ناجي، فكيف نذهب وربما الرحلة قد تطول؟ لا

نعلم ما الذي يمكن أن يواجهنا هناك.

– حسنًا، سننتظر، ولكن ماذا سنفعل في هذا الرجل؟

– سيكون في استضافة ياسين ليومين.

قال (ياسين):

– حسنًا، موافق.

***

اليوم التالي:

بدأ جميع من في المنزل أن يجهزوا لحفل زفاف (ناجي). ساعدتهم (سلمى) في التحضيرات، حاولتْ جاهدةً أن تتحمل والدة (بدر)، كلما حاولتْ أن تقترب منها لا تستطيع؛ إنّها لا تحبها وتعاملها بقسوة.

شردَتْ (سلمى) تفكر لدقائق، إنّها محقة في كرهها لها؛ تستضيفُها في منزلها رغمًا عنها، وهنا العادات تختلف؛ القرى متحفِّظة كثيرًا ويجب أن تكون من عائلتهم لتستطيع أن تسكن معهم. حاولتْ تهدئة حالها، لا تريد أن تغضب الآن؛ إنّها اقتربتْ من هدفها وبعد ساعات ستلتقي بعائلتها؛ لهذا ستتحملها حتى تمر هذه الساعات.

خرجتْ (سلمى) و(زينب) إلى الأرض ليقطفا الفواكه من الأشجار، من أجل حفل الزفاف. وقفتْ (سلمى) أمام شجرة البرتقال، وابتسمتْ حين تذكرتِ اعتراف (بدر) لها بحبه قبل أسبوع، أُعجبتْ بطريقته في البوح بمشاعره. كل شيءٍ به مختلف، ولعل هذا أكثر ما نال إعجبها؛ الاختلاف دائمًا يميز الإنسان ويجعله جذاب في عينَي من يحبه. بينما كانتْ شاردةً تفكر، قطع شرودها شاب بشرته بيضاء اللون، طوله متوسط، ولديه لحية

كثيفة، لون عينيه بنيّ، يحمل حقيبة سفر. ابتسم، وقال لها:

– أصبحتِ فتاة جميلة للغاية!

حدقتْ عيناها، وقالتْ:

– من أنت؟

– هل نسيتِ سارق البرتقال يا زينب؟

كادتْ تتحدث، ولكن قاطعتها (زينب) قائلةً بنبرةِ غضبٍ:

– إنّها ليستْ زينب، أنا هي زينب يا سارق البرتقال.

لون عينيها أخضر كلون الشجر، قصيرة القامة، بشرتها فاتحة، أنفها صغير، لديها ابتسامة رائعة. نظر لها وهو مبتسم، ثم قال:

– كنتُ أعلم أنّكِ (زينب)، ولكنّي كنتُ أمزح؛ إنّكِ تعلمين أنّي أحب المزاح.

تنهدتْ، ثم أجابته:

– لا بأس، حمدًا لله على سلامتك يا أحمد.

أردفتْ:

– لم أرَك منذ ثمان سنوات، ألم تشتاق إلى القرية كل تلك السنوات؟

– اشتقتُ إليها كثيرًا واشتقتُ إليكم أيضًا، ولكن العمل سلب كلّ وقتي؛ لم أشعر بمرور تلك السنوات، أتيتُ الآن من أجل زواج ناجي، سأبقى عدة أيام وسأعود إلى القاهرة مرة أخرى.

اختفتِ ابتسامتها عندما علمتْ أنّه أتى من أجل زواج أخيها فقط وسيعود إلى

القاهرة على الفور، كان لديها أمل بأن يكون بجانبها هذه المرة، ولكن، ماذا تفعل؟ يبدو أنّ قدرهما ليس واحد.

بعدما ذهب إلى منزله، قالتْ (سلمى):

– وأخيرًا عاد إليكِ حبيبكِ سارق البرتقال!

تساقطتْ دموعها وهي تقول:

– لم يعد من أجلي؛ إنما من أجل حفل الزفاف، يبدو أنّه ليس قدري.

– لا تتشاءمي؛ ربما يحبكِ أيضًا ولكن لا يظهر حبه لكِ.

– لا أعرف، كل شيء بيد الله.

***

المساء:

ابتسم لها حين رآها ترتدي الفستان الأزرق، إنّه طويلٌ ومطرزٌ من المنتصف بورود بيضاء، اشتراه من أجلها وكان يعلم أنّه سيكون رائعًا عليها. بادلته الابتسامة أيضًا.

دلف إليها، ثم نظر إلى عينيها بحبٍ شديد. نظرتْ حولها خشيةَ أن تراه والدته السليطة، اطمأنتْ حين لم ترها متواجدة.

قالتْ: «ماذا تفعل هنا؟ هنا خاص بالنساء، الرجال في الخارج».

– سأكون في أي مكان أنتِ فيه.

– ستبقى راسخًا على كلامك مهما حدث؟

– نعم.

التفتَ وراءه حين رآها تحدق إلى ما خلفه، رأى والدته واقفةً ويبدو عليها الغضب. كادتْ تصيح، ولكن قبل أن تفعل ذهب على الفور. كتمتْ (سلمى) ضحكتها حين رأتْ والدته. بعد دقائق ذهبتْ وراءه وهي تكاد تموت من شدة الضحك.

أوقفته وقد كاد أن يخرج، وقالتْ: «باقي يوم وسنذهب إلى الأقصر، أشعر أنّ هذه المرة سأصل إليهم وسأعرف الحقيقة».

ابتسم بيأسٍ، وقال: «شعرتِ بالملل منّا؛ لهذا تريدين الرحيل على الفور».

– حقًا أشعر بالحزن لفراقكم، ولكن هذا هو قدري؛ أن أرحل وأعود إلى حيث أنتمى، ولكن ستبقى في قلبي دائمًا.

– لماذا تقولين هذا الحديث وكأن هذا آخر حديثٍ بيننا؟ أنا أحبكِ وسأبقى معكِ دائمًا، وبعد أن تَصلي إلى عائلتكِ سوف أتقدم إليهم ونتزوج، فهل أنتِ موافقةً على أن تتزوجيني؟

شعرتْ بتوترٍ شديد حين قال لها أن تتزوجه، لم تكن متوقعةً أنّه سيطلب منها الزواج الآن، كل شيء حدث بسرعة كبيرة وهذا ما يُقلقها.

قالتْ: «أشعر بالقلق؛ جمعتنا صدفة عجيبة، لم أكن متوقعةً أن أحب في وسط هذه الأحداث».

قال: «لا تخافي؛ سنتخطى كل شيء معًا».

– لن أخاف أبدًا وأنت معي، عندما أقحمتُ نفسك في أمرٍ كاد أن ينهي حياتك من أجلي وواجهتَ المختطِفين كي تنقذني، حينها علمتُ أنكَ ستكون قوتي في تلك المحنة، منذ تلك الحادثة لم أخف من شيءٍ لأنّك كنت تحميني دائمًا.

– أهذا يعني أنّكِ موافقةً أن تتزوجيني؟

– اترك هذا الأمر حتى أصل إلى عائلة الرضوان.

– حسنًا، سأنتظرك دائمًا.

قطع حديثهما (أحمد) حين قال:

– بدر محسن ناجي، ما زلتَ كما أنت، لم تتغير أبدًا.

ابتسم، وقال:

– ولكنكَ تغيرتَ كثيرًا، وأصبح لديك لحية أيضًا! كنت تكره اللحية بشدة، ماذا حدث؟

– أحيانًا نكتشف أننا نحب أكثر الأشياء التي ظننا أننا نكرهها.

ضحك وهو يقول:

– أيضًا أصبحتَ فيلسوفًا!

اقترب (أحمد) من (بدر)، ثم ضمّه بقوة، وهمس في أذنه قائلًا:

– هل هذه سلمى التي فعلَتْ ما لم يستطع أن يفعله الجميع؟

أردف:

– أقلعتَ عن الأمور السيئة منذ أن التقيتَ بها.

– لا، ليس منذ أن التقيتُ بها.. ولكن منذ أن وقع صديقك في حبها قد أصبح إنسانًا آخرَ، وكأنّها سحرتني!

بعد أن رحبتْ (سلمى) بـ (أحمد) صديق (بدر)، ذهبتْ إلى (زينب) كي تخبرها أنّ

حبيبها سارق البرتقال هنا. صعدتْ إلى غرفتها فرأتها تجلس على فراشها حزينةً، مررتْ (سلمى) يديها على ذراعها، وقالتْ:

– كيف تكونين حزينةً في حفل زفاف أخيكِ؟ هذا ليس وقت الحزن؛ إنّما وقت الرقص، هيا انهضي لننزل ونشاركهم الرقص في الأسفل، أيضًا حبيبكِ هنا.

– هذا ما يحزني، أنّه هنا! لماذا عاد بعد كل تلك السنوات؟ كنتُ قد فقدتُ أمل عودته واعتدتُ على فراقه، ماذا سأفعل الآن؟ عاد إلى قلبي الأمل مجددًا، وأخشى أن يذهب هذه المرة دون أن يعرف أنّي أحبه.

– أخبِريه أنكِ تحبينه، ماذا تنتظرين؟

– ليستْ بتلك البساطة، هنا الفتاة يجب أن تستحي ولا تخبر الرجل أنّها تحبه، بل يجب أن يبادر هو أولًا ويخبرها بأنّه يحبها ويريد أن يتزوجها.

– مع أنّي لا أحب الحياة في القرية؛ لأنّ كلّ شيء فيها معقدٌ للغاية، ولكنكِ مُحقة فيما قلتيه؛ يجب أن يبادر هو أولًا.

أردفتْ:

– هيا ننزل الآن إلى الأسفل قبل أن تنتبه والدتك إلى غيابك، بدلًا من أن تصعد إلينا وهي غاضبة وحينها ستعلمين ما هو الحزن الحقيقي.

ابتسمتْ بيأسٍ، وقالتْ:

– هيا لننزل.

نزلتا إلى الأسفل ثم رقصتا مع النساء. تركتْ (سلمى) حالها للطبول وكأنّها ترقص للمرة الأولى، لم تكن تُدرك أن (بدر) يراقبها من بعيد وهي ترقص، خجلتْ حين رأتْ

عينيه الزرقاء ترمقها من خلف الستائر، كادتْ تذهب إليه لتوبخه ولكن فجأة سمعتْ صوت صياحٍ بالخارج.

خرج (بدر)، واتبعته (سلمى) و(زينب) لتريا ماذا يحدث. تجمد الدم في عروقه وكاد قلبه أن يتوقف حين رآها؛ إنّها (صفية) زوجته!

تدهور حالها ولم تستطع أن تتحمل ما سمعته قبل قليل، ولم تشعر بحالها؛ فسقطتْ أرضًا عندما علمتْ أنّ (بدر) متزوج! حملها (محمد) أخو (بدر) وبرفقته (زينب)، وصعدا معًا إلى الغرفة.

حاول أن يتمالك حاله، ودلف إليها والغضب الشديد على وجهه، وقال بنبرةٍ حادة:

– ماذا تفعلين هنا؟ ومن أين عرفتِ مكاني؟

– هل كنتَ تظن أنّي لن أستطيع أن أصل إليك؟ أعرف مكانك منذ أسبوعين ولكن انتظرتُ هذه المواجهة حين علمتُ أنّه قد اقترب موعد زواج أخيك، أتيتُ هذا اليوم تحديدًا لأسلب منك سعادتك أمام الجميع، كما فعلتَ معي، تركتني ورحلتَ دون مبررٍ في ذكرى زواجنا الثالثة.

صفعها على وجهها، وقال لها:

– اذهبي، لا أريد رؤيتكِ مرة أخرى، وسوف أرسل إليكِ ورقة طلاقك.

– لو كان طلاقي بتلك البساطة لكنت فعلتها منذ وقت طويل، ولكنك تعلم أنّ هذا مستحيلًا.

اقتربتْ منه وهي تجهش بالبكاء، وقالتْ:

– للمرة الأولى تصفعني! ولكن سأنسى تلك الصفعة ولن أُخبر أبي بشيء، ولكن

ستعود معي إلى منزلنا.

– سيحدث هذا الأمر في أحلامكِ فقط، لن أعود معكِ أبدًا.

نبرة صوتها اختلفتْ فجأة، وقالتْ:

– حسنًا، أنت من اخترتَ، انتظر المفاجأة، وستتمنى لو أنّك وافقتَ أن تعود معي.

فتحتْ عينيها، وجدتْ حالها في غرفة (زينب) وكأنّها كانتْ ترى كابوسًا سيئًا قبل قليل. شردتْ للحظاتٍ، ثم سألتْ (زينب) إن كان ما حدث قبل قليل حقيقيًا وأنّ (بدر) متزوج، قالتْ بنبرة صوتٍ مرتفعة: «لماذا أخفيتِ عنّي هذا الأمر؟!! هل بالفعل بدر متزوج؟».

أقسمتْ بأنّها لم تكن تعرف أي شيء بشأن هذا الزواج، وليستْ هي فقط التي لم تكن تعرف، ولكن لا أحد في هذا المنزل كان يعرف أنّ (بدر) متزوجًا.

بكتْ بشدة، ثم ألقتْ رأسها على كتف (زينب) وهي تقول:

– لماذا أخفى عني هذا الأمر؟ كان يكذب عليّ قبل ساعة واحدة؛ أخبرني أنّه يريد الزواج مني، هل كان يظن أنّ الحقيقة لن تظهر؟ لا أعرف ما سبب إخفاءه لهذا الأمر، ولكن مهما كان السبب لن أسامحه أبدًا.

***

صباح اليوم التالي:

حملتِ الحقيبة، ثم وضعتْ كلّ الأشياء التي تملكها فيها، وقررتْ أنّها لن تعود إلى هذا المنزل مرة أخرى، حتى وإن لم تصل إلى عائلتها لن تعود إلى منزل (بدر) الكاذب. كيف صدقته وأحبته؟ لن تلقي اللوم عليه؛ إنّها ضعفتْ أمامه وصدقته في كل شيء، كيف لم

تنتبه بأنّه مخادع؟ لا بأس، كلّ شيء سيمر.

قبل أن تذهب ودّعتْ (زينب)، وقالتْ لها بأن تنتبه على حالها. حملتْ حقيبتها ونزلتْ إلى الأسفل، رأتْ (محمد) ينتظرها، حمل من يديها الحقيبة، ثم ألحّ عليها بأن تتناول أي شيء قبل أن يذهبوا فوافقتْ.

دلفتْ إلى والدة (بدر) وشكرتها على كل شيء، نظرتْ إليها بتعالٍ، ثم قالتْ بأنّها تحملتها من أجل (بدر) فقط.

تمتمتْ لحالها: «علمتُ الآن لماذا بدر سيئ، بالتأكيد لأنّ هذه والدته؛ يشبهها كثيرًا». تمنتْ لو أنّه لا يأتي معهم، ولكن لن تستطيع أن تمنعه أن يأتي لأنّه كان معها منذ البداية، ولكن لا بأس؛ حتى وإن طالتِ الرحلة ستنتهي ذا يومٍ وستنتهي حكايتهم هناك أيضًا. انتظرتْ في غرفة المعيشة حتى يأتي (ياسين الأسمر) ليصطحبوهم بسيارته إلى الأقصر.

***

استيقظ (بدر) بوجهٍ عابس، ورأسه تؤلمه بشدة. لم يكن يتوقع أنّ (صفية) ستعرف طريقه، وظلّ يسأل حاله من أين عرِفَتْ!

ولكن هذا لن يفيد بشيءٍ الآن؛ فكلّ من بالمنزل عرف بالأمر. وتمتم قائلًا في نفسه: «يجب أن أنهي تلك الحكاية بأيّ طريقةٍ ممكنة، ولكن سأنتظر حتى أعود من الأقصر، حينها سأستطيع أن أواجه صفية وعائلتها ولن أخاف من شيء، ولكن يجب أن أوفي بالوعد الذي وعدتُ به سلمى حتى وإن متُّ بعدها لا يهم، يجب أن تصل سلمى إلى عائلتها».

ارتدى قميصًا رماديًا وبنطالًا أسودًا، ثم ارتدى «جاكيت» فوق القميص لونه أسود أيضًا، وأسرع حين سمع صوت سيارة (ياسين) في الأسفل أمام المنزل؛ عرف أنّه حان

وقت الرحيل.

كادتْ أن تذهب إلى الخارج عندما رأته ينزل من على الدرج، ولكنّه هرع عندما رآها تحاول أن تتجنب الحديث معه، مسك ذراعها قبل أن تذهب ثم ترجاها بأن تسمعه لمرة واحدة قبل أن يسافروا. بعد ثوانٍ من الصمت وافقتْ بأن تنصتَ له:

– أعرف أنّي مخطئٌ لأنّي أخفيتُ عليكِ أمر زواجي، ولكن هذا لأنّي خشيتُ أن تبتعدي عنّي، ولكن أقسم لكِ أنّي لم أحب امرأة مثلما أحببتكِ، وكنتُ أبحث عن أيّ طريقةٍ حتى أطلقها، وأبقى معكِ.

– بالفعل كنتُ سأبتعد عنكَ إن عرفتُ بأمر زواجك، ولكن كنتُ سأحترم صدقك معي.. لكن الآن، أيضًا سأبتعد، ولكن لن أنسى أبدًا أنّك كذبتَ عليّ كل هذا الوقت لأنّك أنانيّ، خاب أملي بك يا بدر! مهما كان الفراق صعبًا، لكنّه أفضل من الكذب.

أردفتْ:

– بعد أن تنتهي الرحلة لا أريد رؤيتكِ مجددًا، وانسَ أنّك رأيتَ فتاةً تدعى سلمى، ولا يهمني إذا طلقتها أم لا؛ لأنّك لن تكون في حياتي مرة أخرى.

– فكري جيدًا.. إنني أحبكِ أكثر من أي شيء في هذا العالم.

– وأنا أيضًا أحبك ولا أعرف كيف سأنساك، لكن أيضًا لن أستطيع أن أثق بك بعد الآن.

– حسنًا سأتركك الآن لأنّكِ غاضبةً، ولكن لن أتخلى عنكِ أبدًا وسأفعل أيّ شيء من أجل أن أسترجع ثقتك مرة أخرى.

وقال في نفسه: «أعرف أنني أستحق أن تتركني، كان يجب أن أكون صادقًا معها

منذ البداية، كنتُ أنانيًا؛ أردتها أن تحبني كما أحبها، ولكن لم أخبرها بحكايتي مع صفية، كان يجب أن أخبرها وأتركها تقرر هل ستكون جانبي أم لا، ولكنّي الآن خسرتها بسبب أنانيتي.. يجب أن أدفع ثمن أنانيتي الآن، ولكن أيضًا لن أيأس أبدًا وسأظل أحاول من أجل أن تعود إليّ مرة أخرى، ولكنّها ستكون المرة الأخيرة، لأنني لن أكذب عليها مجددًا مهما حدث».

***

جلستْ (سلمى) في السيارة بجوار (ياسين الأسمر)، وبالخلف جلس (بدر) و(محمد) والرجل الذي وجدوه في الغرفة السرية. كادتْ أن تتحرك السيارة، ولكن أوقفهم (بدر) عندما رأى (أحمد)، وأخبرهم أن ينتظروا قليلًا حتى يخبر (أحمد) بشيء ويأتي على الفور. ذهب إليه وسأله إن كان هو من أخبر (صفية) عن مكانه.

نظر له بحزنٍ وقال:

– لم أخبرها بشيء، لم أكن متوقعًا بأنّ هذه ثقتك بي التي كنتَ تحدثني عنها دائمًا!!

– آسف لأنّي شككتُ بك، ولكن لا أحد يعرف مكان منزلي سواك؛ لهذا ظننتُ أنّك أنتَ من أخبرها.

– ليس أنا، لكن لا بأس.

أردف:

– إلى أين أنت ذاهب؟

– سنوصل سلمى إلى عائلتها.

– هل أذهب معكم؟

– لا، ابقَ هنا؛ ربما تأتي تلك اللعينة مرة أخرى، إن حدث شيء أخبرني على الفور.

– حسنًا، انتبه إلى حالك.

عاد إلى السيارة، ثم ألقى رأسه على مسند المقعد، وبعد لحظاتٍ تحركتِ السيارة، وهي في طريقها إلى الأقصر الآن!

«من يغامرون بالذهاب إلى أبعد الحدود، هم وحدهم من يعرفون المدى الذي يمكن للمرء الوصول إليه».

ت . س . اليوت

{٤}

أشاحتْ بنظرها عندما رأته ينظر إليها في المرآة الأمامية في السيارة؛ لا تريد أن تراه بعد الآن. النار تغلي في قلبها منذ أمس، كيف استطاع أن يحطمها بتلك القسوة؟ لماذا طلب منها الزواج وهو متزوج؟ كيف استطاعتْ أن تكون ساذجة هكذا؟ إنّه خطأها هي؛ كان يجب أن تكون أشد حزمًا، ولكن لا بأس إنّها طبيعة الإنسان أن يخطئ ويتعلم من خطئه ثم يبدأ من جديد. ولكن كيف ستنسى كل شيءٍ جميلٍ عاشته معه؟ هل تلك الذكريات كانتْ كذبة أيضًا؟ شردتْ تفكر في كل شيء حدث بينهما منذ لقائهما قبل أشهر حتى اليوم. كانتْ في حلم جميل وفجأة استيقظتْ منه وشعرتْ أنّها في بئرٍ من الوحل! قطع شرودها (ياسين) عندما أوقف السيارة أمام استراحة صغيرة على طريق الصحراي، نزلوا جميعًا من السيارة ثم توجهوا نحو الاستراحة.

كاد يجلس (بدر) جانب (سلمى)، ولكن سبقه (محمد) وجلس جانبها. توجه نحو المقعد الذي بجوار (ياسين) وجلس جانبه. ظل ينظر إليها بنظرات تصرخ بأن تسامحه، ولكن لم تعد تؤثر عليها نظراته، لا تتذكر سوى خداعه وكذبه؛ لهذا لن تستطيع أن تسامحه. أتى الشاب الذي يعمل في الاستراحة وسألهم عن طلبهم، طلبوا جميعًا شايًا، عدا (سلمى) كادتْ أن تطلب، لكن قاطعها (بدر) قائلًا للشاب:

- إنّها تريد ينسون.

أردف:

- اجلب لها كوب ينسون وضف له معلقتَين سكر.

صمتتْ، لم ترد أن تشعره بالأحراج أمام الجميع. نعم، إنّها لا تحتسي الشاي وتحب

الينسون، وهو يعرف هذا، ولكنه لا يعرف أنّها تستطيع أن تستغني عن الينسون الذي تحبه كما استغنتْ عنه.

نظروا باتجاه الشاب الذي يصنع المشروبات وهو يغني أغنية أم كلثوم، أمل حياتي. علق (ياسين الأسمر) على الأغنية وقال أنّها تذكّره بذكريات جميلة.

نظرتْ (سلمى) إلى الشاب وهو يغني ويبتسم لهم وهو يصنع المشروبات، تعجبتْ من سعادته، فقالتْ:

– كيف هو سعيدٌ هكذا بينما يعمل عملًا بسيط؟

أجاب (محمد):

– الأعمال البسيطة هي سر السعادة، هل تعلمين أنّ الإنسان كلما ارتقتْ مكانته كلّما قلّتْ سعادته؟

قالتْ متعجبةً: «كيف؟».

– عندما يكون العمل بسيط نتقبله ونعيش اللحظة الحالية كما هي ولا نفكر في المستقبل، إنّما عندما نصبح في مكانةٍ مرموقة، نتلهف للمزيد ونصبح نفكر في المستقبل بجنون، وننسى أن نعيش اللحظة الحالية كما هي.

أردف:

– هل أدركتِ الآن ما هو سبب سعادته؟

ابتسمتْ وقالتْ:

– إنّك محقٌ.

قال (ياسين الأسمر):

- سلمى، ماذا ستفعلين بعد أن تَصلي إلى عائلتك؟

- لا أعرف، ولكن يكفي أن أصل إليهم أولًا وحينها سأحسم أمري.

قال (محمد):

- لماذا أنت صامتٌ يا بدر هكذا؟ لا تشاركنا الأحاديث!

- إنّي مُنهكٌ؛ لهذا لا أتحدث كثيرًا.

وضع الشاب المشروبات وهو يبتسم، بادلته (سلمى) أيضًا الابتسامة. إنّ كل شيء نركز معه يؤثر علينا؛ إن ركزنا مع الحزن سيزداد مع مرور الوقت، وإن ركزنا مع السعادة سترافقنا دائمًا. هذا الشاب البسيط يُدخل السرور في قلب كل إنسانٍ يراه، ربما لأنّه تاركٌ كل شيء لله، ومن يحبه الله ستصبح حياته مثل الجنة.

بعد مرور ربع ساعة نهضوا، ثم عادوا إلى السيارة مجددًا ليكملوا رحلتهم إلى الأقصر. كلّما اقتربتْ من الوصول كلّما زاد قلقها، هل ستلتقي بهم تلك المرة؟ ما سر هذه العائلة؟ ولماذا رحلوا من الفيوم إلى الأقصر؟ ومن هذا الرجل الذي اصطحبوه معهم من الحجرة السرية؟ رأسها أصبحتْ تؤلمها من شدة التفكير، لكن لا أحد يملك إجابة كل الأسئلة التي تجول برأسها سوى عائلة الرضوان!

الآن قد وصلوا إلى الأقصر، لفتَ انتباهها لون المنازل والجدران فيها. سألتْ (ياسين الأسمر): «لماذا كلّما مررنا من جانب المنازل والجدران نراها باللون (البيج)؟

- ربما لأنّ اللون (البيج) يمثل الحضارة.

أضاف:

- الأقصر من أكثر المدن السياحية في مصر، وفيها العديد من الآثار وتراث أجدادنا

الفراعنة.

- إنّك محقٌ.

أردفتْ:

- متى سنصل إلى المنزل؟

- المنزل في الطود، تقريبًا سنصل بعد نصف ساعة.

***

الطود

هل بالفعل ستنتهي الرحلة بعد عده دقائق؟ هل كل شيء بينهما سينتهي بعد قليل؟ كان يخشى دائمًا الوقوع في الحب، حتى زوجته لم يحبها أبدًا، ولكن لا يعلم كيف وقع بحبها بتلك السرعة! عندما تم خطفهما وبقيا معًا في حجرةٍ واحدة، لوهلة لم يشعر بالخوف على حاله؛ إنّما شعر بالخوف عليها، حتى قبل أن يعرف من هي وما هي حكايتها، كانتْ لديه رغبة عارمة بأن يبقى جانبها حتى النهاية. حاول كثيرًا أن يتجاهل مشاعره نحوها ولكن لم يستطع؛ كيف يمكن أن لا يقع في حبها وهو يرى كل شيءٍ فيها رائع؟ حتى أخطاءها يراها مميزات. يا ليته التقى بها قبل أن يتزوج، ربما تغيرتْ أشياء عديدة! نعم، لم يكن الوقت مُناسبًا حين وقع في عشقها، ولكن أجمل أوقاته كانتْ معها. كان يهرب دائمًا من الوقوع في الحب وكان يظن أنّه سبب مأساة وألم الإنسان، لكنّ اليوم تأكد بأنّ الحب يجعلنا نشعر بمعنى وقيمة الحياة.

توقفتِ السيارة ونزل منها (ياسين) و(بدر)، مرر (ياسين) يديه على ذراع صديقه، ثم قال:

– لم أرَك حزينًا من قبل هكذا، أعلم أنّك خسرتَ (سلمى) ولن تسامحك بتلك البساطة، ولكن يجب أن تصمد؛ لا أستطيع رؤيتك في تلك الحالة! وهذا ما كنتُ أحذركَ منه، بأنّ حبك لها سيحرقك ذا يوم، ولكنك لم تنصتَ إليّ، ولكن لا بأس يجب أن تنسى تلك الحكاية، وربما دقائق وستتركنا ولن نراها مجددًا.

نظر له بيأسٍ، ثم قال بنبرةِ حزنٍ:

– حتى وإن تركتنا لن يتغير شيء، ستبقى في قلبي دائمًا.

أردف:

– أمامنا دقائق وسنصل إلى المنزل كما أخبرنا الرجل الذي سألته قبل قليل عن العنوان، ولكن يجب أن نتأكد من أن هذه العائلة ليستْ سيئة، لا نعلم لمَ كانتْ والدتها هاربةً منهم؛ ربما هم عائلة خطيرة وذهابها لهم سيأذيها ولن يفيدها، لهذا يجب أن نتوخى الحظر، أيضًا يجب أن لا تعلم تلك العائلة بأنّ سلمى منهم إلا بعد أن نتأكد من أنّها لن يصيبها مكروهٌ.

– وماذا تريد أن نفعل؟

– سنذهب إليهم وكأنّنا نريد أن نعيد إليهم الرجل الذي وجدناه في الحجرة السرية، ولأنّه لا يتحدث هذا سيسهل علينا الأمر، سنقول لهم بأنّنا عثرنا عليه في الطريق وكان يحمل معه ورقةً مُدوَّن عليها عنوان المنزل، ولهذا أردنا مساعدته وأتينا به إليهم.

– وهل سيصدقون هذا الحديث؟

– لا أعرف، ربما يصدقون! سنحاول أن نقنعهم.

عادا إلى السيارة، وأخبرهم (ياسين) بما قاله صديقه. لم توافق (سلمى) في بداية

الحديث على الفكرة، ولكن بعدما ألح عليها وافقتْ. وصلوا إلى المنزل الآن، منزل ذو أربعة طوابق لونه يميل إلى الذهبيّ، أمامه ساحة واسعة، يشبه القصور كثيرًا. تمهل لحظاتٍ، ثم توجه (ياسين) إلى رجل من الرجال الذين يحرسون المنزل وأخبره أنّ هناك أمرًا ضروريّ ويجب أن يلتقي بمالك المنزل؛ فقال له أن ينتظر قليلًا وسيخبره بهذا الأمر وإن وافق سيلتقي بهم.

بعد دقائق فتح احد الحارس بوابه المنزل الكبيره و الحديدية وخرج لهم شاب طويل القامة، لون بشرته فاتحة، يرتدي جلبابًا رجاليًا، ويبدو عليه أنّه في أواخر العشرين من عمره.

نظر لهم بتعجبٍ، و قال إلى (ياسين):

– تفضل، ماذا تريد؟

– إنّنا زائرون، أتينا من أجل أن نشاهد جمال الأقصر، ونحن في طريقنا إليها عثرنا على هذا الرجل ومعه ورقة مدوّن عليها عنوان هذا المنزل.

حدقتْ عينا الشاب عندما رأى الرجل الذي معهم، واقترب منه وتفحّصه جيدًا ليتأكد بأنّ هذا هو عمه (سمير)؛ الذي اختطف قبل عدة أعوام! بحثوا عنه كثيرًا ولم يجدوه. ضمّه إلى صدره، ثمّ مرّر يديه على ظهره وسأله عن حاله، ولكن لم يجبه.

قال (محمد):

– لا يتحدث أبدًا، حاولنا معه كثيرًا، ولكنه لم يستجب لنا.

أجابه:

– نعم، أعلم ذلك، عمي سمير أبكم.

نظر لهم نظرة توحي أنّه مرتابٌ في أمرهم ولم يصدقهم، لهذا أمر حرس المنزل بأن يصطحبهم إلى الداخل.

قاطعه (ياسين)، وقال:

– سندخل معك بإرادتنا، أخبر الحرس بأن لا يقتربوا منّا.

– حسنًا، اتبعوني.

دخلوا جميعًا إلى المنزل وبقوا واقفين في الصالون ينتظرون حتى يأتي الشاب؛ دخل مع عمه، وتركهم في الصالون. تفحصتْ (سلمى) الصالون وشعرتْ بشعورٍ عجيب داخلها، يبدو أنّها وصلتْ إلى المكان الصحيح، وإنّها الآن وسط عائلتها. عاد إليهم الشاب ومعه شيخ ذو هيبة، يرتدي جلبابًا مطرزًا بنقوش من الفضة، لونه أسود. نظر لهم بصرامةٍ، وقال:

– لم أقتنع بكلامكم، كيف عثرتم على أخي سمير في الطريق؟ إنّكم تحاولون أن تخفوا أمرًا ما،أخبِروني الحقيقة وسأترككم ترحلون، وإن لم تخبروني الحقيقة سأجعل رجالي هم من يتعاملون معكم.

نظرتْ (سلمى) إلى الرجل بعمق، وأدركتْ أنّ هذا الرجل هو ذاته الذي رأته في الصورة في غرفة جدتها، وأيضًا عثرتْ على صور له مع والدتها في الغرفة السرية. تنهدتْ، ثم قالتْ:

– لم نكذب عليك، هذا ما حدث، عثرنا عليه في الطريق، وإن لم تصدق اسأله وإن أخبرك عكس ذلك افعل بنا ما تشاء.

– هل تحسبينني أحمقًا؟ وكيف سيجيب وهو أبكم؟

– سوف يجيب، سأسأله أمامك.

صرخ الشيخ على (سمير) وقال له أن يخرج من الحجرة، نظرتْ له بعينَين تترجاه بأن يقف إلى جانبها؛ إنّها لم تتركه هناك بل أنقذته من عذاب والدتها. قالتْ بنبرةِ خوفٍ:

– أخبره الحقيقة، إننا عثرنا عليك في الطريق، نعم أم لا؟

تمهل للحظاتٍ، ثم نظر إلى أخيه وأومأ رأسه إيجابًا. أتتْ على وجهها ابتسامة عابرة حين أكد على كلامها. قال الشيخ:

– أعتذر منكم يا شباب، وشكرًا لكم لأنّكم لم تتركوه وترحلوا، بل خاطرتم وأتيتم به إلى هنا.

أجاب (بدر):

– هذا واجبنا.

قال الشيخ:

– إلى أين أنتم ذاهبون الآن؟

– أتينا إلى الأقصر من أجل السياحة، سنبقى هنا في أيّ فندق عدة أيام.

– ستذهبون إلى فندق وأنتم في منزل أحمد الرضوان؟ هذه إهانة في حقنا، ستبقون في استضافتنا وسيساعدكم ولدي عيسى في أي شيء تريدونه، هذا أقل شيء نفعله معكم، أنتم لا تعلمون كم السعادة التي نشعر بها الآن، كدنا نفقد آمالنا بعودة أخي، ولكنّ الله أرسلكم إلينا لتعود لنا سعادتنا بعد كل تلك السنوات.

قال الشيخ لولده (عيسى) أن يخبر زوجة أخيه أن تُجهز الغداء للضيوف، وأن يصطحب الثلاثة شباب إلى غرفة الضيوف في الطابق الرابع، وأن يصطحب (سلمى)

إلى غرفة (شروق) ابنة عمه.

نظرتْ (سلمى) في أرجاء المنزل وبدأتْ تشعر وكأنّها بالفعل مالكة هذا المنزل، ولكن راودتها أفكار قلقة بشأن المواجهة. كانتْ تتمنى أن تأتي اللحظة التي تصل بها إلى عائلتها وتعرف سر الحكاية، ولكن عندما رأتْ ذلك الشيخ قلقتْ قليلًا؛ كيف ستواجهه؟ إنّه صارم بشدة! تخشى رد فعله كثيرًا.

صعدتْ (سلمى) إلى غرفة فتاة تُدعى (شروق)، تكون ابنة الرجل الذي وجدوه بالغرفة السرية. وضعتْ حقيبتها أرضًا، ثم جلستْ على طرف السرير. بعد دقائق، دخلتْ (شروق) إلى الغرفة، ثم نظرتْ لها بغضبٍ، وقالتْ:

– عمي أخبَرني أنّكِ ستكونين ضيفتنا لعدة أيام، لهذا أريدكِ أن تعلمي بأنّي لا أحب أن يلمس أي شخص شيئًا في غرفتي، وأيضًا لا ترتدي شيئًا من ثيابي، وستنامين على الأريكة التي أمامك وليس بجانبي على الفراش.

نظرتْ لها (سلمى) بحدّة، وقالتْ:

– حسنًا، وهذا ما كنتُ سأفعله؛ لا أحب أن أستخدم أشياء الغير، ولا تقلقي لن أبقى كثيرًا، عدة أيام وسنرحل على الفور.

تمتمتْ (سلمى) في نفسها قائلةً:

– يبدو أنّ لعنة والدة بدر رافقتني إلى هنا، هذا ما كان ينقصني!

نزلوا جميعًا إلى الصالون، بعد أن أخبرهم (عيسى) ابن مالك المنزل أنّ الغداء جاهز. جلسوا على طاولة كبيرة، وُضع عليها دجاج محشيّ أرز، وصحن بطاطس كبير، وأرزٌ معمَّر. بعد أن تناولوا الطعام جلسوا مع الشيخ (أحمد الرضوان)، وظلُّوا يتحدثون عن الأقصر وعن جمالها الساحر. أنصتَ (ياسين الأسمر) إليه حين قال أنّ الطود كانتْ مقر

لعبادة الإله منتو، وفيها العديد من الآثار التاريخية.

نهضتْ (سلمى) بعيدًا عنهم بعد أن هاتفتها (زينب) لتطمئن عليها، حزنتْ لأنّها تركتها؛ كانتْ معتادة على رفقتها، ولكن ستبقى بينهم الذكريات الممتعة.

بعدما انتهتِ المكالمة، التفتتْ وراءها فرأتْ (محمد) واقفًا ينتظرها، قالتْ:

– ماذا بك؟ هل حدث معك شيء؟

نظر لها بارتباك، وقال:

– سلمى، هناك أمر هام أريد أن أخبرك به.

– ما هو؟

– أنا أحبكِ.

حدقتْ عيناها في ذهولٍ عندما سمعتْ ما قاله، وأيضًا كان (بدر) واقفًا وراء (محمد) دون أن يشعرا وسمع ما قاله أخاه قبل قليل؛ غضب بشدة ثم عاد إلى مجلسه والنار تغلي في قلبه.

ظلّتْ واقفةً للحظاتٍ تفكر ماذا يجب أن تقول له في تلك اللحظة التي لم تتوقع حدوثها، قررتْ أن تنهي هذا الأمر وأخبَرته عن علاقة الحب التي كانتْ بينها هي و(بدر)، ولا أحد كان يعلم عن مشاعرهما سواهما فقط؛ لهذا الأمر يجب أن ينسى كل الأوهام التي في ذهنه. قالتْ له أنّها تحبه، ولكن مثل أخيها.

نظر لها بحزنٍ، وقال:

– لقد أخطأتما؛ كان يجب أن تخبرونا أنّكما في علاقة حب، حينها لم أكن سأصل إلى هذه اللحظة وأن أُحب حبيبة أخي.

– أعتذر منك حقًا! كل شيء حدث بسرعة كبيرة، لم نشعر، وأيضًا لم يكن الوقت مناسبًا حتى نخبر أحدًا بهذا الأمر.

أردفتْ:

– إنّك شابٌ جيّدٌ، وتذكر دائمًا أنّ هناك امرأةً ما في مكان ما ستلتقي بها وستكون هي حبك الحقيقي.

ابتسم بيأسٍ، وقال:

– حسنًا، انسي كل شيء أخبرتكِ به قبل قليل.

كانتْ ليلة سيئة لهم هم الثلاثه، كل واحد منهم شعر بأنّ خنجر ما أصابه بقلبه، أصعب شيء في الحياة هو عندما تحب إنسان ما وتكتشف فجأة أنّه يحب أكثر إنسان عزيز لديك؛ حينها سيكون الاختيار صعبًا.

***

صباح اليوم التالي:

ذهبوا مع (عيسى) إلى رؤية الآثار التاريخية، لا يريدونه أن يشعر بشيء الآن؛ لهذا أنصتوا له وكأنهم بالفعل أتوا من أجل السياحة. وقفوا أمام عمود من الجرانيت يعود إلى حكم أوسركاف، وهو من ملوك الأسرة الخامسة. نال إعجاب (ياسين الأسمر) بناء قديم منقوش على جدرانه أسماء ملوك فراعنة قديمة.

عندما كان (محمد) و(ياسين) ينصتون جيدًا إلى حديث (عيسى)، جذب (بدرُ) (سلمى) معه بعيدًا عنهم، ثم وقفا بجوار العمود الذي من الجرانيت. حاولتْ أن تذهب بعيدًا عنه، لكنه لم يتركها تذهب؛ بل وقف أمامها وأجبرها على الإنصات له:

– ما رأيك في حديث أخي محمد معكِ أمس؟

– لا يهمني حديثه ولا حديثك، اتركني وشأني.

– لن أتركك دون أن تعلمي بأنّكِ حبيبتي وستبقين حبيبتي إلى آخر يومٍ في عمري.

– أنا لستُ حبيبةً لرجلٍ متزوج.

– زواجي من صفية كان خطأ كبير، عندما أطمئن بأنّ الأمور بينكِ وبين عائلتكِ أصبحتْ بخير، سأخبرك بكل شيء بشأن زواجي، وأعلم جيدًا أنكِ ستُشفقين على حين تعلمين بأنّي أقحمتُ ذاتي في مأزق كبير عندما قررتُ أن أتزوجها.

– لا يهمني كل هذا، أنا لا أريدك في حياتي مجددًا.

أدارتْ وجهها بعيدًا عنه قبل أن يرى دموعها تتساقط من عينيها، كيف ستُشفق عليه وقد حطّم قلبها وكل أحلامها؟

كانتْ صدمة كبير لهم حين عادوا إلى منزل (أحمد الرضوان) ورأوه بانتظارهم، حاملًا بيديه صور له مع والدة (سلمى). تجمد الدم بعروقها حين صاح بهم وقال لهم أنّه يريد أن يعلم الحقيقة كاملة، ولماذا هذه الصورة عثرتْ عليها (شروق) في حقيبة (سلمى).

نظرتْ (سلمى) إلى الفتاة بغضبٍ شديد، وكادتْ أن توبخها على فعلتها، كيف ترى ما في حقيبتها دون علمها؟ تبدو فتاة سيئة كثيرًا! ولكن قاطعها (بدر)، وقال للشيخ (أحمد الرضوان) عن كل شيء حدث، وعن والدة (سلمى) واحتجازها لأخيه (سمير)، لم يخفِ عنه أيّ شيء مما حدث. حدقتْ (سلمى) بـ (بدر) لأنّه أخبره عن خطف والدتها لـ (سمير) أخيه؛ رغم كل شيء فعلته تبقى والدتها ولا تريد أن يصيبها مكروهٌ أبدًا.

شرد الشيخ (أحمد) لبعض لحظات عندما أدرك حقيقة الأمر وأنّ (سلمى) تكون ابنة

(وفاء) التي كانتْ زوجته!

اقتربتْ (سلمى) منه، ثم تساقطتْ دموعها وهي تقول:

- رجاءً أخبِرني كل شيء! وما هو الرابط بينك وبين أمي؟

- إنّها حكاية كبيرة، فيها خفايا يجب أن لا يعرفها أحد.

- لا تقلق، أيًا كان ما تخفيه لن نخبر أحدًا بشيء؛ الجميع هنا أتوا من أجلي، وتأكد أنّ أي شيءٍ ستحكيه سيبقى بيننا، رجاءً أخبِرني كل شيء تخفيه.

جلسوا جميعًا على المقاعد، ثم أصغوا إليه وهو يحكي حكايته!

***

الخميس / ١٩٨٥:

الفيوم / طامية:

لحظة واحدة قادرة أن تغير كل شيء في حياتك، تُشعرك أنّك إنسانٌ مختلفٌ، وكأنّك خُلقتَ من جديد! وهذه اللحظة تشعر بها عندما تعشق؛ العشق يأخذنا إلى عالم آخر، عالم مليء بالسعادة.

في البداية، كنتُ أظنّ أنّي لا أحبها، وأنّي اقتربتُ منها فقط لأصل إلى هدفي. ولكن مع مرور الوقت تغير هدفي وأصبحتْ هي أهم شيء في حياتي، ربما لأنّها بريئة! وبراءتها هي من جعلتني أتراجع عن هدفي وتصبح هي كل أهدافي وآمالي في الحياة.

ظللتُ واقفًا أنتظارها في المنزل الذي قمتُ ببنائه من أجلها، كدتُ أفقد أملي بأنّها لن تأتي ولن نتزوج. راودتني أفكار سيئة عديدة، ربما علم (فهد) أخوها أنّها ستهرب لهذا منعها من أن تأتي إليّ، ولكن كل ما فكرتُ فيه كان ليس حقيقيًا، وبالفعل استطاعتِ

الهرب وأتت إليّ. كنتُ بانتظرها أنا والشيخ واثنان من الشهود، كل شيءٍ يومها سار على ما يرام، تزوجنا وقضينا أول ليلة لنا في منزلنا فيطامية، كما كنّا نتمنى.

بقينا داخل المنزل لعدة أسابيع، لا أحد يعرف عنّا أيّ شيء سوى صديقي المقرب (سعيد الجبلاوي)، كان يأتي كل أسبوع من مركز أطسا الذي كنّا نعيش فيه، إلى طامية التي هربنا إليها، كان يأتي في الخفاء ويخبرني عن كل شيءٍ يحدث في الخارج، نبّه عليّ حينها أن لا أخبر أيّ شخص عن مكاننا؛ لأنّ أخاها العمدة (فهد) يبحث عنّا في كلّ مكان ولن يرحمنا إن عثر علينا وسيقطع رأسينا دون رحمة أو شفقة. حاولتُ أن أنتصب بثبات من أجلها.

مرّتْ شهور ونحن في أمان ولم تعثرعلينا عائلتانا، ولكن كان يجب أن أجد عملًا لأنّي أنفقتُ كل المال الذي كان بحوزتي. بعد أيام من البحث وجدتُ عملًا قريب من المنزل، عملتُ في فرن لصناعة الخبز، صاحب الفرن كان رجلًا قلبه طيّب؛ علّمني كيف أصنع الخبز وتحمل خسارة عشرين كيلو من الطحين حتى تعلمتُ وأصبحتُ أمهر عاملًا لديه يصنع الخبز البلدي.

كنتُ أذهب صباحًا في الخفاء إلى الفرن وأعود مساءً إلى المنزل، أجدها في انتظاري وابتسامتها الدافئة على وجهها؛ كانتْ حريصة دائمًا أن لا تُشعرني بحزنها والوحدة العارمة التي كانتْ تشعر بها. أيضًا حزنتُ لأنّي لم أستطع أن أوفر لها كل مطالبها، كنّا نعيش في رفاهية وعائلتانا من أكبر عائلات أطسا، لكنّنا ضحينا بكل شيء من أجل حبنا.

انسابتْ إليّ العديد من الأفكار السيئة، وأكثر ما كان يُقلقني: هل ستبقى تحبني رغم الوحدة التي تشعر بها أم لا؟ كنتُ أتركها كل يوم لحالها دون عائلة أو أصدقاء، كانتْ سجينة في المنزل، دائمًا تنتظرني حتى ينتهي عملي وأعود إلى المنزل لبعض ساعاتٍ ليلًا. بقَينا سبعة أشهر على ذات الإيقاع الرتيب، حتى أتى هذا اليوم وعلمتُ فيه أنّها حبلى

وسيصبح لدينا طفل يملأ علينا حياتنا بالسعادة.

تمهل لحظاتٍ حين جف حلقه، حمل كوب المياه الذي كان أمامه على الطاولة واحتساه، ثم أكمل حكايته:

– بعد مرور عام ونصف من زواجنا أنجبتُ ولدي عيسى، قوتي تضاعفتْ منذ اللحظة التي حملته فيها بين يديّ، ولادته كانتْ تحمل معها الخير الكثير؛ بعد ولادته بشهرين طلب مني صاحب الفرن أن أُشاركه فيه، لأنّ في الآونة الأخيرة تدهورتْ حالته الصحية، أصبح يأتي إلى الفرن من حين لآخر، ولأنّ ليس لديه سوى فتاة ولا تعرف أي شيء عن العمل بالفرن، فقرر أن أشاركه في الفرن بعدما أصبحتُ ماهرًا في كل شيء فيه. كدتُ أنسى ماضينا واعتدنا على الحياة في طامية، شعرتُ بسرور حين أتى إليّ سعيد الجبلاوي وأخبرني أنّهم فقدوا أمل العثور علينا، وكل منهم عاد إلى حالته الطبيعية. كان كل شيء يسير على ما يرام حتى أتى هذا اليوم العصيب، استيقظنا في فزع على صوت تحطيم باب المنزل. لم أصدق حالي عندما سمعتُ صوت فهد، كاد قلبي أن يتوقف في تلك اللحظة، لم أكن أعلم أنّ فهد أمر رجاله بأن يتبعوا سعيد الجبلاوي، واستطاع أن يعثر على مكاننا من خلاله. حطموا كل شيء في المنزل، ثم أجبرونا على الذهاب معهم، حاولتُ كثيرًا أن أقاومهم ولكن عددهم كان كبيرًا. لم أشعر بحالي من شدة الألم، أبرحوني ضربًا، ثم ألقوا بي في الساحة، ولَكَم وفاء زوجتي عدة لكمات على وجهها أمام أهل البلدة ولم أستطع أن أفعل شيء، حينها فهد خيّرها خيارين إما يقتلني وإما أطلقها وتنتهي قصتنا للأبد وولدي عيسى سيبقى مع فهد خاله وسيربيه مع أبنائه. لم تستطع وفاء أن تتحمل خسارتي فوافقتْ على الطلاق وظلّتْ تترجاني أن أطلقها وأنسى أمرها، وأنّ من المستحيل لحكايتنا أن تستمر، ويكفي الثلاثة أعوام التي قضيناهم معًا؛ كانوا مثل الحلم! ستبقى ذكرياتنا الممتعة في قلبها دائمًا. ألحّتْ عليّ حتى طلقتها. عدتُ إلى عائلتي وأنا خاسرٌ كلّ شيء ومُحطَّم كليًا، لم يقبلوا بعودتي في بداية الأمر، ولكن أمي هي من ألحّتْ عليهم عندما

رأتْ حالتي؛ لم تتحمل أن تراني مكسورًا ومهزومًا هكذا. أبي لم ينسَ ما فعله معي فهد، وبقيَتْ نار الانتقام تشتعل داخله. عائلتي كانتْ تظن بأنّي تزوجتُ ابنة عدوّنا من أجل أن أعذبها كما فعل عمها وأخوها بعائلتنا، نعم عندما التقيتُ بها كانتْ هدف من خلاله سأقضي على عائلتها، ولكن لم أستطع أن أقاوم طيبة قلبها، ودون أن أشعر انساب حبها في قلبي ولم أستطع أن أؤذيها أو أُحزنها؛ لأنّ أيّ ألم ستتألمه كنتُ سأشعر به أيضًا؛ لهذا قررتُ أن أهرب معها بعيدًا عن العداوة والكُره وكل شيء حطمنا، وحقًا تمنّيتُ أن نعيش حياة جديدة بعيدًا عنهم جميعًا! ولكن القدر لم يجعلنا نكمل حلمنا الصغير، والثلاثة أعوام أصبحوا ذكرى جميلة في قلوبنا. أكثر شيء بالفعل قتل قلبي هو عندما علمتْ وفاء بما أخفيه عنها وعن الجميع، حينها كنتُ أعرف أني سأخسر وفاء للأبد، وحتى إن وافق فهد على عودتنا في يوم من الأيام، هي لن توافق؛ لأنّ ما أخفيته عنها كان خطيرًا للغاية! النسر الملتحي الذي يبحث عنه الجميع هو أنا أحمد الرضوان، نعم أنا بذاته!

قالتْ (سلمى):

- لم أفهم، ماذا يعني النسر الملتحي؟

تمهل لحظات، ثم أجابها:

- سأخبركم سر الحكاية ولماذا أصبحتُ النسر الملتحي..

لا أحد كان يعلم أنّ عمّ وفاء هو من قتل أختي الصغيرة، قتلها ليأخذ بتار أخيه الشيخ (حليم)؛ لأنّ أبي قتل والد (وفاء)، وعمها كان يعلم هذا جيدًا فظلّتْ نار الانتقام تشتعل في قلبه حتى قتل أختي وقتل معها قلبي، رأيته بعيني وهو يقتلها. ركضتُ إلى أبي حينها وأخبرته بما رأيته، وأنّ قاتل أختي هو شاهين أخو الشيخ (حليم). أبي أجبرني على الصمت، وقال إن عرف أيّ أحد بهذا الأمر لن يسامحني أبدًا، وصمتُّ لسنواتٍ وقلبي يتألم بشدة على فراق أختي. بدأتِ العقد تنشأ داخلي منذ هذا اليوم، وعُقَدي كانتْ

أكبر سببٍ في جعلي هذا النسر. ذا يوم كنتُ جالسًا مع صديقي (أرسلان الأفريقي)، قصة حياته كانتْ تشبه قصة حياتي، ولكن بطريقة أخرى، قبيلة عائلة (أرسلان) كانتْ بينها وبين إحدى القبائل عداوة كبيرة، ولكن قبيلة (أرسلان) كانتْ كليلة ليستْ قوية مثل القبيلة الأخرى؛ فقتلوا نصف قبيلتهم، وهذا ما جعل عائلة (أرسلان) تختبئ في مصر. أخبرني صديقي الأفريقي عن نسر سلبه معه من أفريقيا وهو كاسر العظام، أو النسر الملتحي، عثر عليه أثناء هروبه من القبائل، ولفتَ انتباهه أنّه طائر ضخم وقويّ لهذا السبب لم يتركه؛ بلا حبسه في صندوق وقرر أن يصطحبه معه. من هنا أَتَتْ لديّ هذه الفكرة؛ وهي أن أُصبح كاسر العظام، وأن أُعذب أيّ إنسان سيئ يفعل أعمالًا سيئة. أعلم أنّه كان خطأً كبيرًا أن أحاسب البشر على أعمالهم؛ هذا ليس من شأني؛ الله وحده من يحاسب العباد. لكن، كما قلتُ قبل قليل، عُقَدي كانتْ تحركني ويبدو أنّ الأوهام دفعتني نحو الانتقام من البلدة كلها، وأنّ موت أختي وصمتي على حقها هو من جعلني أصبح النسر الملتحي.. وأول من قمتُ بإيذائه هو عمّ (وفاء)؛ حطمتُ عظامه انتقامًا لموت أختي الصغيرة.

استطاع أن ينجو من الموت، ولكن تسببتُ له بما هو أسوء من الموت.. العجز؛ لم يستطع أن يسير على قدميه مرة أخرى. لهذا كنتُ واثقًا أنّ (وفاء) لن تسامحني أبدًا؛ لأنّي تسبّبتُ في إيذاء العديد من البشر، حتى أنّي أتذكر أنّ ذا يوم (فهد) التقى برجلٍ كهلٍ في الطريق كان يبكي بشدة لأنّ ابنه طرده من المنزل، اتبعتهما حتى أوصله (فهد) إلى منزله، وانتظرتُ أمام المنزل حتى خرج الشاب حاملًا معه حقيبة كبيرة، اتبعته حتى ذهب بعيدًا عن المنزل، أبرحته ضربًا وكسرتُ عظامه أيضًا مثل النسر الملتحي. لم أتوقع أنّ السر الذي أخفيه سيعرف به الجميع، وأنّ نهاية عائلة (وفاء) ستكون على يد عائلتي.

في مساء يوم عصيب بعد طلاقي من (وفاء) بشهرين، سمعتُ أبي يأمر رجاله أن يذهبوا إلى منزل (فهد) ويحرقوا من في المنزل جميعًا. لم أتحمل حينها، وذهبتُ على الفور

قبل أن يصل أبي إلى المنزل لأستطيع إنقاذ ولدي وحبيبتي من القتل. ارتديتُ قناع النسر، ولكن لوهلة، كان من أجل إنقاذ إنسان وليس لإيذائه. هرولتُ إلى منزلها، واستطعتُ الوصول إلى غرفتها، رأيتها نائمة. أيقظتها على الفور، ثم أخبرتها أن تذهب وتجلب ابننا لنرحل على الفور. شكّتْ في أمري، وأيضًا تعجبتْ من القناع الذي أرتديه. ترجيتُها أن تجلب ابني ونذهب الآن وسأخبرها بكل شيءٍ في الطريق. ألحّتْ عليّ أن أُخبرها الآن ما الأمر ولماذا أنا خائفٌ عليهم هكذا، اضطررتُ أن أُخبرها بكل شيء وأنّ أبي ورجاله في طريقهم إلى المنزل. صاحتْ (وفاء) في غضب وأيقظتْ كل من في المنزل، ورأيتُ (فهد) وزوجته في غرفتها ومعهم ابني (عيسى). أخبرتْ (وفاء) أخاها أنّ المنزل سيحترق، وأنّي أتيتُ من أجل اصطحابها هي و(عيسى).

بعد لحظاتٍ، أتى عمها بالكرسي المتحرك، وقال بنبرة صَوت عالية أنّي أنا من كسرتُ عظامه لأنّ القناع الذي أرتديه هو ذاته الذي ارتديته في اليوم الذي أبرحته ضربًا فيه. إنّ (فهد) ذكيٌّ بشدة فأدرك أنّني النسر الملتحي. لم أستطع إنكار الأمر، وبالفعل أخبرتهم بأنه أنا النسر الملتحي. تجمّد الدم في عروقها، ثم تساقطتْ دموعها من عينيها عندما سمعتْ ما قلته. بعد مرور لحظات اشتموا رائحة النار في كل أرجاء المنزل، استطعتُ أن أُنقذ (وفاء) وولدي (عيسى)، ولكن باقي من في المنزل احترقوا وأصبحوا رمادًا. منذ هذا اليوم لم أرَ (وفاء) مرة أخرى، تركتْ عيسى معي ورحلتْ من الفيوم نهائيًا.

بعد مرور عدة أعوام، رحلتُ أنا وأخي (سمير) وولدي (عيسى) وزوجة أخي، وتركنا الفيوم وأتينا إلى الأقصر في منزل زوجة أخي. لم نتحمل أن نبقى مع أبي؛ لأنّ أفعاله كانتِ هي السبب في إيذاء العديد من البشر وأنا منهم؛ لهذا تركنا له كل شيء ورحلنا. بقَينا في الأقصر عدة أعوام، لا أحد يعلم عن أمرنا شيء، ولكن لا نعلم كيف عرفتْ (وفاء) مكاننا وخطفتْ أخي (سمير) انتقامًا لما حدث لعائلتها. هذه هي كل حكاية عائلة الرضوان.

قالتْ (سلمى):

– هذا يعني أنّي لستُ ابنتك، لماذا أخبرتني جدتي قبل أن تموت أنّك أبي الحقيقي؟

– لا أعلم، ولكنّ وفاء لم تُنجب سوى عيسى.

أردف:

– ربما تزوجتْ برجلٍ آخر بعد رحيلها من الفيوم وأنجبتك.

– عيسى ولدك هو أخي ولكن من أمي فقط.

– نعم.

تركَتْهم وصعدتْ إلى الأعلى، ثم دخلتِ الحمام وانهارتْ من البكاء.

نظرتْ للمرآة، وقالتْ: لمَ الجميع يكذب عليّ؟ أصبحتُ لا أعلم من الكاذب ومن الصادق، ومن يكون أبي؟ هل سأبقى العمر كلّه أبحث عن الحقيقة؟ حتى أنتِ يا جدتي كذبتي عليّ وأخبرتيني أنّ أبي من عائلة الرضوان! ولكن ليس كما أخبرتيني، أبي رجل آخر، ربما أمي أيضًا لستِ هي أمي الحقيقية!

***

في صباح اليوم التالي:

تركض في وسط الصحراء الخاوية والرمال تحاول أن تبتلعها، والشمس كادتْ تقترب منها لتحرقها، والعرق يسيل من جبهتها بغزارة. استيقظتْ وهي تشعر بالفزع من الحلم الذي كانتْ تحلم به قبل القليل، ظلّتْ تدعو الله كثيرًا أن يبعد عنها كل هم تشعر به. نظرتْ إلى الساعة، إنّها السادسة صباحًا. نهضتْ من على الفراش، ثم دخلتْ إلى الحمام وغسلتْ وجهها، ثم توجهتْ نحو الحقيبة التي تضع فيها ملابسها. ارتدتْ أول شيء أتى

في يدَيها، ثم أغلقتها وحملتها، ونزلتْ إلى الأسفل والجميع ما زال نائمًا.

كادتْ أن ترحل من المنزل، ولكن أوقفها (أحمد الرضوان). نظرتْ له بعينٍ غائرة، حاولتْ أن تنهي الحديث معه وترحل، ولكنّه لم يوافق؛ بل أجبرها أن تبقى وقال أنّه سيساعدها وسيجلب والدتها إلى هنا وسيقنعها أن تقول الحقيقة، وكل سؤال يجول بذهنها ستعرف إجابته قريبًا.

– إنّي مُنهكة كثيرًا وأشعر أنّي تائهة في هذه الحياة، ماذا فعلتُ في حياتي لتحدث معي كل هذه الأشياء!

– هذا قدرك يا ابنتي، ولا أحد يستطيع أن يختار قدره، بل ارضي بكل شيء يحدث معك، لأنّ الله وحده يعلم لما حدثتْ معك كل هذه الأحداث.

صعدتْ إلى الأعلى مرة أخرى بعد أن أقنعها أنّه سيجلب والدتها إلى هنا وستعرف منها كل شيء. وبينما كانتْ في طريقها إلى غرفة (شروق)، أوقفها (عيسى) وقال:

– ما هذه الحقيبة؟ هل سترحلين؟

– كنتُ سأرحل، ولكن والدك لم يوافق.

– هل تعلمين أنّي سعيدٌ لأنّه أصبح لديّ أخت وأيضًا جميلة مثلك؟

– شكرًا لك، ولكن أنا حقًا لا أستطيع أن أصف ما أشعر به الآن، أنا إنسانة قضتْ نصف عمرها في هدوء وسعادة، وفجأة انقلبتْ حياتي رأسًا على عقب؛ لهذا أرجو أن تسامحني في أنّي لا أعرف حقًا هل أنا سعيدة الآن لأنّك أخي أم لا، ولكنّك إنسان صالح وأيّ فتاة تتمنى أن تصبح أختك.

تمتمتْ إلى حالها بعد أن تركته قائلةً:

– ماذا تخفين عني بعد يا أمي؟ هل لديّ عائلة ثالثة ومزيد من الإخوة لا أعلم عنهم شيء؟ سامحكِ الله!

بعد إلحاح كبير من (ياسين الأسمر) و(محمد)، نزلتْ (سلمى) إلى الأسفل لتتناول معهم الغداء. جلستْ على الطاولة وهي شاردة، تحرك الملعقة دون أن تتناول شيء.

حاولتْ أن تتمالك حالها وتشاركهم الأحاديث، ولكن فجأة صمتَتْ وانزعجتْ حين رأتْ (شروق) المتعجرفة ترمق (بدر) من حين لآخر. حاولتْ أن لا تُبالي؛ إنّ حكايتهم انتهتْ ولن تعود إلى حياته مرة أخرى، ولكنّها أيضًا لم تستطع أن تتجاهل غضبها من تلك الفتاة. نظرتْ إلى (بدر) لتتأكد إن كان أيضًا يبادلها النظرات أم لا، وجدته ينظر إلى الصحن ولا ينظر إليها. هدأتْ قليلًا حين رأته لا يهتم لأمرها.

قالتْ (شروق) وهي تنظر إلى (بدر):

– ما رأيكم إن اصطحبتكم إلى مزرعتي؟ إنّها تبعد عن المنزل نصف ساعة فقط، إنّها رائعة وستنال إعجباكم.

أجابتْ (سلمى):

– لا، الآن لن نستطيع أن نذهب إلى أيّ مكان، دعيها إلى وقتٍ آخر.

نظرتْ إليها بمكرٍ، وقالتْ:

– هل أنتِ المتحدثة الرسمية باسم الجميع؟ ربما يريدون الذهاب!

قال (بدر):

– سلمى مُحقة، ليس لدينا وقت الآن.

بعدما انتهوا من تناول الطعام، ناداها (ياسين الأسمر) وقال:

– يجب أن نرحل؛ إنّك هنا في منزل أخيكِ ولا أحد سيستطيع أن يؤذيكِ، أيضًا يكفي أنّ الشيخ أحمد استضافنا في منزله ثلاثة أيام، بقينا فقط من أجلك، لكن اطمئننا عليكِ الآن؛ لهذا سنرحل اليوم.

– إنّك محق، وشكرًا لكم على كل شيء، إنّكم بقيتم جانبي في أسوأ أيامي وخاطرتم وأتيتم إلى الأقصر من أجلي، أنت ومحمد إخوتي التي جمعتني بهم الحياة، سأفتقدكم كثيرًا!

– أريد أن أعترف لكِ بأمر.

أردف:

– عندما أخبَرني بدر أنّه يُحبكِ، كنتُ أنصحه دائمًا أن يبتعد عنكِ وأنّكِ لستِ مثلنا، ولكن بعدما سافرنا معكِ واقتربنا منكِ، أدركتُ حقًا أنّه كان مُحقًا؛ أنتِ فتاة جيدة للغاية، وكنتُ مخطئًا في الحكم عليكِ؛ لهذا أعتذر على سوء ظنّي بكِ.

– لا تعتذر، حقًا لم أنزعج منك، بل يكفي كل شيء جيد فعلته معي، وخوفك عليّ وكأنّك أخي؛ لهذا دعنا ننسى الماضي، ومنذ هذه اللحظة لديّ أخٌ شجاع يدعى ياسين الأسمر.

– قبل أن أرحل أريد أن أطلب منكِ شيء.

– تفضل.

– فكِّري جيدًا في علاقتك ببدر؛ إنّه يُحبكِ حقًا، أنا أعرف بأمر زواجه قبل أن يعرف الجميع، ولكنّه بالفعل كان مجبَرًا أن يخفي عن الجميع هذا الأمر.

– لا أعلم حقًا ماذا أقول لك، لكن كل شيء بيد الله، دع الأيام تداوي ألمي وإن كان لنا نصيبٌ في أن نعود سنعود رغمًا عن أي شيء.

– حسنًا، انتبهي على حالك.

– وداعًا.

توجهتْ نحو الغرفة، ولكن وقف أمامها (بدر) وظلّ يتأملها لدقائق. نظرتْ إلى عينيه بحزنٍ شديد، وشعرتْ بالغضب عندما تذكرتْ ما فعله معها... لم تثق بأيّ إنسان في حياتها سواه، ولكنّه خذلها حين كذب عليها، ماذا يريد منها بعد؟

وقد كان يقول في نفسه وهو واقفٌ أمامها: «أعلم جيدًا أنّها منزعجة منّي الآن؛ إنّها لا تدري عما حدث معي، لا تدري أنّ زواجي هو أتعس زواج في العالم، وإن كنتُ أدرك أنّي سأتغير ذا يوم لم أكن لأتزوج صفية أبدًا، الله وحده يعلم أنّي لم أحب امرأة سوى سلمى».

وكانتْ تقول في نفسها: «لماذا لا يتحدث؟ هل وقف أمامي ليصمت؟!».

قبل أن تنطق بشيء، قال:

– لن أبرر ما فعلته معكِ، لكن رجاءً امنحيني الفرصة لأتحدث معكِ قليلًا!

– نعم، ماذا تريد؟

– أنتِ لا تعرفين ما حدث، أنا تزوجتها من أجل مالها فقط، لم أحبها أبدًا، وأعرف جيدًا أنّه خطأٌ كبيرٌ، ولكن عندما أحببتكِ تغيرتُ من قلبي، وتمنيتُ أن أُكمل حياتي معكِ وأمحو كل ذكرى بيني وبين صفية وأبدأ بدايةً جديدةً معكِ أنتِ!

– لن تكون بيننا بدايات جديدة أبدًا، ربما لن أستطيع أن أكرهك لأنّك فعلتَ معي العديد من الأشياء الجيدة، لكن أيضًا لن أنسى كذبك عليّ تلك الشهور.

– لم أكذب عليكِ عن عمد، كنتُ خائفًا من أن أخسركِ.

– وإنّك خسرتني بالفعل، ولكن إن أخبرتني الحقيقة منذ البداية ربما لم تكن لتخسرني

أبدًا، ولكن الندم لن يفيد بشيء الآن، اذهب إلى زوجتك وابدأ معها بداية جديدة.

– أقسم لكِ أنّي أُحبكِ من قلبي ولن أستطيع أن أكمل حياتي من دونك.

– وأنا أيضًا أحبك، ولكن الحب ليس كلمة من أربعة أحرف ننطقها؛ الحب هو أن تكون صادقًا مع الإنسان الذي تحبه حتى وإن ستخسره، عندما يفقد حبيبك الأمان تجاهك لن يستطيع أن يثق بك مرة أخرى أبدًا حتى وإن فعلتَ له المستحيل.

– إنّكِ محقة ولكن الذي يستطيع أن يحب يستطيع أيضًا أن يسامح.

أردف:

– اليوم آخر يوم لنا هنا وسأعود إلى الفيوم، وهناك سأفكر بطريقة ما أنهي بها زواجي، وحينها سآتي إليكِ وسأفعل أي شيء لتسامحيني.

– لا تعذب حالك؛ مهما فعلتَ لن أعود إليك، هيا ارحل.

نظر لها بحزن، ثم قال:

– مهما فعلتِ لن تغيري حقيقة أنّ الحب الحقيقي يغير كل شيء.. هو دائمًا الذي ينتصر في النهاية.

نظرتْ له بيأسٍ، وقالتْ:

– عندما ينساب الكذب في أي علاقة حب بين اثنين، حينها لن ينتصر الحب.

– وداعًا.

{٥}

تركها وترك معه قلبه، لم يكن يعلم أنّ الفراق سيكون مؤلمًا هكذا! لم يكن باستطاعته أن يفعل شيئًا الآن سوى الانتظار وأن ينهي أصعب أمر فعله في حياته أولًا. نزل من السيارة، ثم شكر (ياسين) على وقوفه معه في حكاية (سلمى)، وتوجه هو و(محمد) نحو المنزل.

دخلا إلى غرفة المعيشة، رأى والده ووالدته بانتظاره ويحدقان فيه بطريقة عجيبة. نظر إلى والدته وسألها مالأمر، نظرتْ تجاه الشرفة وأشارتْ بعينيها إلى الداخل. التفتَ إلى الوراء؛ ليرى ماذا يوجد في الشرفة. عبس حين رأى (صفية) تنتظره هناك!

همهم، ثم توجه نوحها وهو غاضبٌ. نظر لها نظرةً ثاقبةً، وقال:

– يبدو أنّكِ لم تفهمي كلامي جيدًا المرة الماضية، أنا لن أعود إليكِ أبدًا أبدًا، ومهما فعلتِ سأظل راسخًا على كلامي، إن كان لديكِ كرامة اتركيني وشأني!

– حسنًا، من الممكن أن أتركك ولكن بعدما تدفع لي مؤخر الصداق بقيمة خمسة ملايين، حينها ستستطيع أن تطلقني، ولكن هذا حلم بعيد، لن تستطيع أن تصل إليه أبدًا.

أردفتْ:

– أيضًا، النمر يبحث عنك في كل مكان، هل نسيتَ أنّك استعرتَ منه نصف مليون جنيهًا وخسرتهم في القمار؟ ماذا ستفعل يا كليل؟ عندما أخبره بمكانك سيسحقك! اختر إمّا تعود معي إلى منزلنا وسأنسى كل شيء، وإما أن أخبر النمر بمكانك، وأيضًا ستظل زوجي رغمًا عنك.

– مهما فعلتِ لن أعود معكِ، حتى وإن قضيتُ حياتي كلها مسجونًا؛ هذا أحب إليّ من أن أعود لامرأة سليطة مثلك.

ظلّ واقفًا في الشرفة بعدما ذهبتْ (صفية). أتَتْ والدته، ومررتْ يديها على ظهره، وقالتْ:

– إنّها أخبرتنا كل شيء، أعلم أنّك مخطئ وفعلتَ العديد من الأشياء السيئة في حياتك، ولكن ماذا أفعل؟ إنّك تظلّ ابني وقطعة من روحي؛ لهذا والدك قرر أنّ يبيع الأرض التي يملكها ليسدد لك قيمة مؤخر الصداق، وفي غضون أيام ستنهي زواجك منها إلى الأبد.

نظر لها بحزنٍ، وقال:

– هل أبي وافق على أن يبيع الأرض من أجلي بعد كل شيء فعلته؟

– نعم.

وقالتْ:

– مع أنّه لا يريد التحدث معك، ولكن لن يستطيع أن يتخلّى عنك أبدًا.

دلف إليه، ثم جلس أرضًا أمام الأريكة التي يجلس عليها والده، وتساقطتِ الدموع من عينيه بعدما حمل يديه وقبّلها، ثمّ ترجاه أن يسامحه على أفعاله. هو نادم من قلبه حقًا، واعترف أنّ أفعاله سببتِ الأذى له ولكل من حوله، لكن تعلّم من كل خطأ ارتكبه، ولن يتخلى عن عائلته أبدًا من أجل أي شيء مهما كان.

قال والده:

– أنهض يا ولدى سامحتُك ربى يهدى لك حالك .

ابتسم حين قال له أنّه سامحه، ونهض وقَبّل رأسه، ثم قبَّل رأس والدته أيضًا، وذهب ركضًا إلى غرفة (زينب)؛ ليخبرها أنّ والدهم سامحه أخيرًا.

دخل إلى غرفتها بعدما أذنتْ له بالدخول، أخبَرها بما حدث، وفرحتْ لأنّ والده سامحه أخيرًا.

وقالتْ:

– عائلتك فقط من ستبقى معك وستقف بجانبك عندما تكون في أسوأ حالاتك، لا تخسرنا مرة أخرى من أجل شيء؛ لأنّ لا أحد سيخاف عليك أكثر منّا.

– لا تقلقي، تعلمتُ الدرس جيدًا.

– ولكن هناك أمر لم أفهمه!

أردفتْ:

– لماذا تزوجتَ تلك المرأة؟ تبدو سيئة للغاية.

– سأخبركِ بكل شيء:

صفية تكون ابنة رئيس مجلس الإدارة في المكان الذي عملتُ فيه في القاهرة، تزوجتها من أجل المال؛ السلطة والثراء كانا كل ما يهمني حينها، لم أدرك ما أبعاد ما أطمح إليه، كل شيء حاربتُ من أجل الوصول إليه، تركته برغبتي في النهاية! أقحمتُ ذاتي في أمور لم أعتد على فعلها، بعد زواجي منها أدركتُ حقيقتها؛ كل يوم كانتْ تقضي ليلَه في منزل صديق لها، حاولتُ أن أمنعها من سهرها خارج المنزل كل يومٍ ولكن لم أستطع، مع أنّها تعلم أنّي من الأرياف ولستُ مثلها ومع ذلك وافقتْ أن تتزوجني وهي تعلم أنّ عاداتنا تختلف عن عاداتهم كثيرًا. ظننتُ أنّي مع مرور الأيام سأستطيع أن أغيرها وتصبح زوجة

مطيعة، ولكن اكتشفتُ أنّي أنا من تغيّرتُ! أصبحتُ أذهب كل ليلة إلى الكازينو وأقضي الليل مع نساءٍ ساقطات. وذات ليلة، امرأة منهم جعلتني ألعب القمار، مع مرور الوقت أصبح القمار إدمانًا ومسائي لم يعد يكتمل من دونه. الليالي السوداء سلبتني، فعلتُ كل الأشياء التي ترضي غروري في المساء، وأذهب إلى المنزل صباحًا أجدها تنتظرني؛ توبخني وتصيح فيّ وتهددني بأنّها ستخبر والدها أنّي أقضي الليالي مع نساء أخريات. ظللتُ على هذا الإيقاع الرتيب حتى ذلك اليوم، عندما رفضتْ صفية أن أستعير منها المال. ذهبتُ إلى النمر؛ إنّه رجل مشبوه، واضطررتُ أن أستعير منه المال لألعب القمار به، وأخبرته أنّي سأربح أضعافه وسأعيد إليه المال على الفور. بَقَيتُ ألعب وأخسر، وأستعير منه مالًا مجددًا، حتى أصبح المبلغ نصف مليون. لم يصبر عليّ بعدما طالتِ المدة ولم أعِد إليه ماله، كان سيقتلني ذا مساء، لا أعرف كيف استطعتُ الفرار من رجاله! حينها لم يأتِ في ذهني أي مكان، بل قررتُ أن أعود إليكم وأنسى حياتي الماضية وأبدأ حياة نظيفة بلا قمار وبلا صفية وبلا أنانية. أردتُ أن أعود إلى حياتي البسيطة، وأدركتُ أنّ البساطة هي كانتْ سر السعادة التي لم أدركها إلا بعدما فقدتها!

قالتْ (زينب):

– ما هذا يا أخي؟ ما أخبَرتني به مقرِف للغاية! كيف وصلتَ إلى هذه الحالة؟

أردفتْ:

– ولكن لا بأس، أهم شيء أنّك عدتَ إلينا وتركتَ كل ما هو سيئ.

– لا تقلقي، لن أعود إلى الأعمال السيئة مرة أخرى.

– إن شاء الله.

***

بعد مرور ثلاثة أيام:

استيقظ وقد كان يجول في ذهنه ضجيجٌ كبيرٌ، يتمنى أن تنتهي قصته مع زوجته اليوم، وأن يحمل ورقة طلاقه في يديه! أصبحتْ حلم جميل يتمنى الوصول إليه! أي إنسان غيره سيحزن كثيرًا إن انتهى زواجه وربما يفقد رغبته في الزواج مجددًا. إنّما (بدر) فكان طلاقه بداية لحياة جديدة، وربما تكون أحلى سنوات عمره هي القادمة، كما يظن.

ارتدى جلباب فلّاحي استعاره من (محمد)، ونزل إلى الأسفل. ابتسم لهم ثم جلس على الطاولة، ونظر تجاه (زينب) فلم يجدها؛ اعتاد على رؤية وجهها المشرق صباحًا بجوار أخته. المنزل أصبح مملًا من دونها.

نظرتْ له (زينب) وهي تدرك جيدًا ما يجول في ذهنه، تستطيع فهم مشاعره وأنّ حبه لـ (سلمى) هو ما يعيش من أجله الآن. دونًا عن جميع إخوته تفهمه جيدًا، حتى قبل أن ينطق بشيء تفهم ماذا سيقول، كان أقرب أخٍ لها في طفولتها، وكانتْ تقضي أكثر أوقاتها معه هو وصديقه سارق البرتقال؛ لهذا تعلم جيدًا أنّه مشتاقٌ لـ (سلمى) بشدة الآن.

حملتْ هاتفها، ثم أجرتْ مكالمة هاتفية معها، واستخدمتْ مكبر الصوت ليستطيع سماع صوتها.

أتت على وجهه ابتسامة عابرة بعدما سمع صوتها، وتنهد بعمقٍ، ثم أغمض عينيه وتمتم قائلًا:

– سأفعل أي شيء من أجل أن تسامحيني.. لا شيء يستطيع أن يبعدني عنكِ حتى الفراق؛ لأنّ أرواحنا تلتقي كل يوم حتى وإن كنتِ في آخر بلاد العالم.

***

الأقصر

مرتِ الأيام وهي تنتظر أن تأتي والدتها لتخبرها كل شيء حتى ترتاح. أصبح كل ما يهمها الآن هو أن تعلم من هي حقًا، وما هذه الحكايات التي تعيشها كل يوم. تستيقظ كل يوم فتشعر كأنّها كانتْ تعيش في قصة من قصص ألف ليلة وليلة، وكأنّ شهرزاد اختارتها كل ليلة لتحكي عنها قصة لشهريار.

زفرتْ في حنقٍ، ثم وقفتْ في الشرفة وشردتْ في (بدر). تذكرتْ أنّها كانتْ كل صباح ترمقه من شرفة منزله، ويبتسم قلبها من شدة السعادة عندما تراه ينتظرها في الأرض ليراها عندما تدخل الشرفة صباحًا. كل شيء كان رائعًا حتى علمتْ بأمر زواجه؛ هدم كل أحلامها معه! تساقطتْ دموعها عندما تذكرته، حقًا متلهفة بشدة أن تراه حتى وإن كانتِ المرة الأخيرة!

نتمنى للحظة أن تحدث صدفة واحدة، تقابل فيها إنسانًا فارقته، حتى إن كنتَ تُدرك أنّها ستكون المرة الأخيرة التي ستراه فيها، لن تبالي سوى بلقائه؛ لأنّ قبلك متهلفٌ بشدة لرؤيته؛ لأنّه هكذا سيطمئن أنّ من ينبض من أجله ما زال بخير.

دخلتْ (شروق) إلى الغرفة ونظرتْ إليها بمكر، ثم جلستْ على طرف السرير، وقالتْ لها:

– هل أصدقائك الذين أتوا معكِ إلى الأقصر لن يأتوا مجددًا؟

– لماذا تسألين عنهم؟

– ليس عنهم جميعًا، ولكن أسأل عن الشاب ذي الأعين الزرقاء، انتبهتُ أنّكِ لا تحبينه لأنّكِ لا تتحدثين معه إطلاقًا، ولكن سأخبركِ بسرٍ يبقى بيننا؛ لقد أعجبني، وحقًا

يا ليته يأتي مجددًا!

اتسعتْ حدقة عينيها، ثم نظرتْ لها بحدة، وقالتْ:

– كنتُ أتمنى أن أساعدك في هذا الأمر، ولكن الذي لا تعلمينه عن هذا الشاب أنّه متزوج؛ لهذا انسي هذا الأمر نهائيًا.

– حسنًا، وأنتِ، متى ستعوين إلى منزلك؟

– لماذا أعود إلى منزلي؟ هذا منزل أخي أيضًا، وسأبقى كما أشاء، إن كانتْ لديكِ أيّ مشكلة بشأن الغرفة اتركيها واذهبي إلى غرفة والدتك.

نظرتْ لها بغضبٍ، وقالتْ (شروق):

– هذه غرفتي منذ سنوات، ولن أتركها لأيّ شخص، والتي ستتركها هو أنتِ وقريبًا.

ذهبتْ من الغرفة وتركتْ (شروق) وهي غاضبه بشده في داخلها، ثم نزلتْ إلى أسفل.

وجدتِ الجميع يجلسون يتحدثون سويًا، جلستْ معهم وأنصتتْ إلى حديثهم عن ذكرياتهم مع الفيوم، ولكن صمت الجميع فجأة حين رأوا شاب غريب عنهم يدخل من باب المنزل.

تمهل لحظاتٍ، ثم قال:

– سلمى، أريد أن أتحدث معك.

– رامز! كيف علمتَ مكاني؟ ولماذا أتيتَ؟ خطبتنا انتهتْ قبل أشهر!

– رجاءً يا سلمى أريد أن أتحدث معكِ وحدنا!

- حسنًا.

توجها نحو الشرفة، ثم نظرتْ إليه بتعجب، وقالتْ:

- أُنصتُ لك، ماذا تريد؟

- والدتكِ أخبرتني كل شيء، وأدركتُ أنّي كنتُ مخطئًا، وأيضًا عرفتُ كم كنتُ أُحبكِ بعدما تركتيني وظلمتُ والدتكِ وظننتها امرأةً سيئة. ولكن بعد رحيلكِ وسفركِ إلى الفيوم لتبحثي عن عائلتكِ، أتتْ إليّ والدتكِ وأخبرتني حكايتها مع عائلة الرضوان. لم تكن تريدك أن تعرفي الحقيقة؛ لأنّها خشيَتْ أن تؤذيكِ هذه العائلة؛ لأنّها خطفتِ الأخ الكبير سمير الرضوان لتعاقبهم على حرق المنزل وموت عائلتها؛ لهذا خشيَتْ أن يؤذوكِ أنتِ أيضًا، وبسبب ذلك الأمر حاولَتْ أن تمنعكِ من أن تجديهم واستأجرتْ رجالًا ليحتجزوكِ في المنزل الذي في طامية، ونبّهتْ عليهم بأن ينتبهوا عليكِ وإن أصابكِ أيّ مكروهٍ ستحرقهم جميعًا.

أردف:

- ولكن لا تعرف كيف أقحم ذلك الشاب الغريب نفسه في الحكاية، واضطرتْ أن تحتجزه معكِ لأنّ الحكاية كانتْ ستكبر؛ لهذا احتجزته معكِ حتى تأتي وتصطحبكِ معها، وحينها اتخذتْ قرارها بأن تخبركِ كل شيء، لكن تسرعكِ هو من جعلك تذهبين إلى الفيوم على عجل، وعندما قررتْ والدتكِ وفاء أن تأتي إلى الفيوم لتخبرك كل شيء لم تجدك وعلمتْ أنّ الشاب ساعدك في الهروب. ظلّتْ تبحث عنكِ حتى أتى ذلك اليوم ووجدتْ سمير الرضوان ليس في الحجرة السرية، أجبرتْ حارس المنزل أن يبوح بالحقيقة، وبالفعل أخبرها كل شيء، وتأكدتْ أنّكِ أنتِ وراء كل شيء عندما شاهد صورتكِ وأكد أنّكِ أنتِ وثلاثة رجال هرَّبتم سمير الرضوان، حينها أدركتْ أنّكِ ستصلين إلى عائلة الرضوان على الفور. لم تستطع أن تواجهكِ بالحقيقة، وخصوصًا بعدما علمتِ أنّها عذبتْ

رجلًا أبكمًا لسنوات لتهدّئ نار الانتقام التي في داخلها قليلًا؛ لأنّ حزنها على حرق المنزل وموت عائلتها كان يقتلها كل يوم. إنّكِ لا تعلمين كمّ العذاب الذي عاشته والدتكِ في الماضي، سامحيها وسامحيني أيضًا؛ نحن الاثنَين نحبكِ كثيرًا ولا نريد فراقكِ أبدًا!

تنهدتْ بعمقٍ، وقالتْ:

– حسنًا، سامحتكما أنتما الاثنين.

– حقًا سامحتيني؟

– نعم.

أخرج من جيبه دبلة الخطبة، ثم مسك يديها، وقال:

– هل أنتِ موافقة على أن تعودي إليّ؟

– نعم موافقة.

ابتسم وقال:

– أقسم لكِ أنّي لن أُحزنكِ مرةً أخرى، وسترين رامز جديدًا، وسأجعلكِ أسعد إنسانة في الكون.

– حسنًا.

***

القاهرة

وصلوا إلى جزيرة الزمالك، بعدما باع والد (بدر) الأرض بـ ستة ملايين جنيهًا، أعطى لابنه خمسة ملايين قيمةَ مؤخر الصداق؛ ليستطيع أن يُطلِّق زوجته.

حمل (بدر) حقيبة المال، ثمّ صعد السلم ومعه (ياسين الأسمر) والمأذون. دق جرس الباب حتى فتحتْ (صفيّة) وبجوارها والدها، توجهوا نحو الصالون، بعدما جلسوا على المقاعد أعطوا المأذون صور تعريفهم الشخصي ليملأ بيانات قسيمه الطلاق.

زفر (بدر) زفيرًا مطمئنًا بعدما تأكد والد (صفيّة) من المال ووافق على الطلاق.

قال (بدر) للمأذون:

– هيا يا شيخ، انهِ هذا الزواج على الفور.

نظرتْ له (صفية) بحزن، وقالتْ:

– هل إلى هذه الدرجة تكرهني؟ لم تعد تتحمل أن أبقى زوجتك لدقيقة واحدة أخرى! لماذا تزوجتني؟ لماذا؟!

– تزوجتك طمعًا في المال والسلطة، ظننتُ أنّي ربما أُحبكِ بعد الزواج، ولكن كيف سأحبكِ وأنتِ سيئة للغاية؟ والدكِ علّمكِ في أفضل المدارس والجامعات، ولكن لم يعلمكِ أن تصبحي زوجة جيدة. في قريتنا، النساء تحترم الرجال كثيرًا، ولا تفعل شيئًا دون علم زوجها. ولكن أنتِ كلّ يوم كنتِ تقضين الليل برفقة صديق لكِ! كان يجب أن تُنهي أي صداقة بينك وبين أيّ شابٍ بعد زواجنا، ولكن أنتِ أصررتِ أن لا تتغيري؛ لهذا لا تلوميني. أنتِ وأنا تزوّجنا لهدف ما؛ أنا كان هدفي المال، وأنتِ كان هدفكِ زوجًا

بلا شخصية؛ يوافق على كل مطالبك على حساب كرامته. أعلم جيدًا أنّك مدركةً منذ اللحظة الأولى أنّي لا أحبكِ، ولكن استغللتِ هوسي بالثراء من أجل أن تتزوجي رجلًا لا يستطيع أن يحسابكِ على أي أمر، وتفعلين ما تشائين في أي وقت.

تساقطتْ دموعها، وقالتْ:

– حسنًا، هيا يا شيخ طلِّقنا.

نزل من على السلم وهو سعيد للغاية، وأخيرًا أنهى زواجه! وأخيرًا أصبح حرًا وسيذهب إلى حبيبته ويترجّاها أن تسامحه! الآن سيستطيع أن يتزوجها دون خوف أو خبايا أو شروط. للمرة الأولى يصبح سعيدًا هكذا!

اصطحب (ياسين)، ثم تجولا في شوارع جزيرة الزمالك احتفالًا بطلاقه.

نظر إلى (ياسين)، وقال بنبرةٍ مفعمة بالأمل:

– هل ستوافق سلمى أن تتزوجني؟

– لا أعلم، ولكن إذا كنتَ تحبها بصدقٍ ستتحمل غضبها.

– أقسم لك سأتحمل أي شيء من أجلها.

– هل ستأتي معي إلى الأقصر لأخبرها أنّي أنهيتُ زواجي وأريدها أن تصبح زوجتي؟

– وكيف لا آتِ معك؟ طريقي هو طريقك، الصديق الحقيقي يكون جانب صديقه في كل الأوقات.

ابتسم، وقال:

– هل تعلم ما أجمل شيء في صداقتنا؟

أردف:

– أنّنا لا نخفي عن بعضنا أي أمر، ونبوح لبعضنا بكل شيء دائمًا

– إنّك محق، لذلك يجب أن أخبرك بأمر ما!

– ما هو؟

– أنا أعجبتُ بتلك الفتاة شروق؛ التي عمها يكون أحمد الرضوان.

– ماذا؟! إنّها فتاة شريرة! لم ترَ كيف فضحتْ أمرنا أمام الشيخ أحمد؟

– إنّها ليستْ شريرة، ولكنّها شرسة، هناك فرق.

أردف:

– أُحب هذا النوع من النساء.

– حسنًا، كما تشاء، ساعدني أن أحل أمري مع سلمى أولًا، وبعد ذلك سأساعدك أن تقترب من شروق.

– سيكون وعد بيننا.

– نعم وعد، إن عادتْ سلمى إلى حياتي، سأساعدك أن تقترب من شروق.

– وإن لم تعد لك ماذا سأفعل؟

– لن أدعك تقترب من شروق.

ضحك وقال:

– ما شأني أنا؟! لماذا أتعاقب معك؟

- هل ستستطيع أن تصبح سعيدًا وصديقك حزين؟

- لا.

- حسنًا، لهذا يجب أن تفعل أي شيء لتقنع سلمى بمسامحتي.

- حسنًا، اتفقنا.

***

صباح يومٍ جديد:

استيقظ والسعادة تغمر قلبه، كان مثل الطائر محبوسًا في قفص ومُقيّد لا يستطيع أن يُحلّق ويذهب إلى حيثما يريد، الآن سوف يُحلّق إلى أيّ مكان يتمنى الوصول إليه، أول مكان سيذهب إليه هو الأقصر.

نهض من على الفراش وكاد أن يذهب إلى الحمام، ولكن أوقفته (زينب) عندما طرقتْ باب الحجرة. دخلتْ، ثمّ وقفتْ أمامه ونظرتْ إليه بارتباك. ظلّتْ صامتةً لم تتفوه بكلمة واحدة.

شعر أنّها تحاول أن تخبره بأمر ما، ولكن يبدو أنّ ما ستخبره به سيحزنه كثيرًا. ساقته رغبته بأن يسألها:

- ما الأمر؟

تمهلتْ لحظاتٍ، ثم قالتْ:

- سلمى عادتْ إلى خاطبها السابق رامز.

كاد قلبه أن يتوقف من الصدمة! جلس على طرف السرير، ثم نظر إليها بغضبٍ شديدٍ، وقال:

– كيف؟ هل بتلك السرعة عادتْ إليه؟

قالتْ:

– ذهب إليها واعتذر منها على ما فعله، وقد سامحته.

نهض من على السرير والنار تغلي في قلبه، صاح قائلًا:

– استطاعتْ أن تسامحه ولكن لم تستطع أن تسامحني!! لماذا؟ لماذا لم تشفق عليّ كما أشفقتْ عليه؟! أنا وهو أخطأنا بحقها، لمَ تسامحه هو وأنا لا؟!

لوهلة تساقطتِ الدموع من عينيه من أجل امرأة. تابع حديثه قائلًا:

– أقسم لكِ أنّي لم أُحب امرأة مثلما أحببتها، كانتْ هي الأمل المتبقي لي في هذه الحياة! قبل يومَين كنتُ سعيدًا أنّي أنهيتْ زواجي بصفية، وكنتُ سأذهب إليها غدًا وأخبرها أنّي أريد أن أُكمل المتبقي من حياتي معها هي فقط، أريدها أن تصبح زوجتي لآخر يوم في عمري، ماذا سأفعل الآن؟ ماذا؟

اقتربتْ منه، ثم ضمّته بقوة، وقالتْ:

– اذهب إليها وحاول أن تتحدث معها مرة أخرى، أعلم جيدًا أنّها تحبك كثيرًا، ولكنّها تُكابر، وتظن أنّها هكذا تعاقبك، ولكنّها لا تدرك أنّها تعاقب ذاتها؛ لهذا اذهب وأخبِرها بكل شيء في قلبك، ربما حينها توافق أن تعود إليك.

بعدما تركته (زينب)، هاتفه (أحمد) صديقه قائلًا:

– إنّ صفية أخبرتِ النمر بمكانك، وسيأتي إليك حاملًا الشر لك بعد أن أخبرته طليقتك أنّك لن تعيد إليه ماله.

وضع يديه على رأسه، وقال: كيف نسيتَ أمر النمر؟ يجب أن أنهي هذه القصة أيضًا

في أقرب وقت.

***

الأقصر

شاردةٌ تفكر في القرار الذي اتخذته بشأن عودتها إلى (رامز)، هل تعجلتْ في ذلك القرار أم أنّه صائب؟ عادتْ إليه مع أنّها ما زالتْ تحب (بدر) ولكن هو السبب في كل ذلك، لماذا أخفى عنها أمر زواجه؟ لماذا لا تستطيع أن تكرهه مع أنّه كذب عليها لشهور؟ تتمنى أن تسامحه ولكن كبرياؤها يمنعها من ذلك! يا ليت الفراق يجعلها تنساه! ولكن رغمًا عنها ستبقى تتذكر ذكرياتها الممتعة معه. وضعتْ يديها على قلبها، ثم تساقطتْ دموعها من عينيه. وظلتْ واقفةً أمام المنزل تنظر إلى السماء بصمت، وتدعو الله بأن تمر هذه الأيام العصيبة على خير، وتعود كما كانتْ في السابق؛ تعيش حياة هادئة ورتيبة خالية من العقد والألم وكل شيء عاشته في الأشهر الماضية.

لم تكن تعلم أنّ هناك من ينصت لها. قالتْ (وفاء):

– الآن أدركتِ قيمة حياتك السابقة؟

اِلتفتت إلى الوراء، ثم ركضتْ إليها مسرعةً وضمتها بقوة، وقالتْ وهي تبكي بشدة:

– نعم، معكِ حق يا أمي، يا ليتني ما رحلتُ دون علمك! يا ليتَ ما ركضتُ وراء الحقيقة! كنتُ أظن عندما أعلم الحقيقة كاملة سوف أرتاح، ولكن شقائي زاد عندما علمتُ كل شيء! الآن أنا حقًا تائهة أكثر من قبل.

مسكتْ يديها، ثم مسحتِ الدموع من عينيها، وقالتْ:

– هيا، ستعلمين كل شيء الآن.

توجهتا نحو باب المنزل، ثم دخلتا إلى الصالون. وجدتْ (عيسى) جالسًا على المقعد، شعرتْ بارتباك حين رأته، وحاولتْ أن تنتصب بثبات. لوهلة تراه عن قرب، راقبته لأعوام وهو لا يدرك ذلك.

هو أيضًا تعرف عليها بسهولة، كان يشاهد صورها من حين لآخر ويوبخها أنّها تركته وحيدًا في طفولته، كان يمكن أن تصطحبه معها، ولكن اختارت الهروب من كل شيء حتى مسؤوليتها تجاهه. تعلم جيدًا أنّها مخطئة خطأً كبيرًا في حقه؛ تركته عندما كان في حاجة شديدة إليها، تركته عندما كان يخطو أول خطوة في حياته ويحتاج إلى أن تقف بجواره لأنّها عندما يسقط كانتْ ستساعده لينهض مجددًا. لم يشعر بحنانها، ولم تضمه بين أحضانها كل ليلة قبل أن يخلد للنوم، لم تتساقط دموعها من عينيها عندما أصابه مكروه أو مرض فجأة.

نظر لها بحزن شديد، ثم نظر أرضًا خوفًا من أن تؤثر عليه نظرات الأمومة ويضعف امام حنينه لها الذي ظنّ أنّه تخلص منه قبل أعوام.

ظلّ الجميع صامتًا حتى أتى الشيخ (أحمد الرضوان)، وقال:

– وأخيرًا أَتَيتِ يا وفاء، منذ سنواتٍ وأنا أنتظر تلك اللحظة.

خفق قلبها بشدة عندما رأته أمامها، لم يتغير كثيرًا عن ذي قبل؛ ما زال وسيمًا مع أنّ خصلات شعره شابتْ وأصبحتْ بيضاء. كانتْ متلهفةً بشدة أن تراه مرة أخرى. لم تعشق سواه، رغم أنّها تزوجتْ من رجل غيره ولكن قلبها لم يخفق إلا من أجله. انسابتْ إليها الذكريات، وتلك اللحظات السعيدة التي كانا يسرقانها دون أن يعلم أحد بها. تذكرتِ الثلاثة أعوام التي كانتْ خلالهم زوجته؛ تلك الأعوام كانتْ مثل الحلم الجميل، لم تعِش بعدهم أي لحظات سعيدة! ظنّتْ أنّها عندما ترحل هكذا تنتقم منه، هكذا تؤلمه، ولكن لا أحد كان يتألم سواها. ما ذنب (عيسى) ابنها؟ لماذا تركته معه؟ كان يجب أن تصطحبه

معها، ولكن حينها لم تفكر في أي شيء؛ كانتْ في حالة لا تسمح لها بالتفكير جيدًا؛ تم حرق منزلها أمام عينيها وفقدتْ عائلتها وكل شيء! ركضتْ حينها مسرعة وكأنّ جنونًا هيستيريًّا أصابها، فقدتْ وعيها وسقطتْ بجوار إحدى السيارات. لم تكن تعلم أنّ هذه السيارة هى التي ستجعلها تنهض على قدميها من جديد. عندما أفاقتْ وجدتْ حالها في منزل في القاهرة. رجل طويل القامة، لون عينيه بنيّ وشعره أسود ناعم، لون بشرته فاتحة، كان يرتدي بذلة فخمة، يدعى (عبد الرحمن الحسيني). حاولتْ أن تنهض وترحل ولكنّه منعها من الذهاب في تلك الحالة، وأخبرها بأكثر خبر كانتْ لا تتوقعه؛ أنّها حبلى! كيف هذا؟ إنّها أصبحتْ مُطلّقة الآن؛ (فهد) أجبرها على الطلاق قبل شهرين، متى حدث ذلك؟ هذا ليس الوقت المناسب، ماذا ستفعل؟ هل ستعود إلى الرجل الذي عائلته قتلتْ عائلتها وتخبره أنّه أصبح لديه ابنٌ آخر؟ كيف ستفعل ذلك؟ اختارتِ الصمت.

بعد أيام عندما أصبحتْ بحالة أفضل كادتْ أن ترحل، ولكن لم يسمح لها (عبد الرحمن)؛ بل أجبرها على البقاء بعدما علم قصتها العجيبة؛ التي كان يشاهدها في الأفلام فقط، ولكن الآن يرى بطلة فيلم غامض ومخيف، والنهاية سيئة للغاية! ولكنّه كان مُصرًا أن يكون بطلًا معها في ذلك الفيلم؛ ربما لأنّها جميلة للغاية وجمالها سحره؛ لهذا أصبح في حياتها البطل الذي أنقذها من مأساة الحياة.

بعد مرور شهر تزوجا، كانتْ شهور العدة انتهتْ. نعم لم تحبه مثل (أحمد الرضوان) ولكن تعودتْ عليه وعلى حنانه وطيبته، وأصبح يومها لا يكتمل من دونه. في بداية الأمر والدته لم تتقبل زواجه من امرأة لا يعلم عنها شيء وصدفةً التقى بها فاقدةً الوعى بجوار سيارته، ولكن لم يُنصت إليها، بل تزوجها، وحتى أنّه كتب أنّ (سلمى) ابنته في شهادة الميلاد. كان يعاملها كأنّها ابنته بالفعل وليس على ورق فقط؛ كان أحنّ عليها حتى من والدتها، حقق لها كل شيء كانتْ تتمنى الحصول عليه، حتى هي ذاتها لم تشعر يومًا أنّها ليستِ ابنته.

ذا يوم توفيَ عبد الرحمن في حادث سير. حينها فقدتْ (سلمى) النطق لعدة أشهر، وبعد فترة علاج طويلة أصبحتْ تتحدث مجددًا. بعد موت (عبد الرحمن) تقبلتْ والدته (وفاء) وابنتها، حتى أنّها انتقلتْ للعيش معهما في ذات المنزل، و(وفاء) لم تسيء لها أبدًا رغم أنّها عاملتها لسنواتٍ بقسوة، ولكن نسيَتْ كل قسوتها من أجل (عبد الرحمن) فقط، وظلّتْ جانبها وترعاها كما أنّها والدتها؛ لأنّها كانتْ تعلم أنّها وحيدة وكان (عبد الرحمن) فقط ابنها الوحيد.

كانتِ الأيام تمر كالإيقاع الرتيب، حتى أتى ذلك اليوم وأخبرتْ فيه والدة (عبد الرحمن) (سلمى) كل شيء وأخبرتها عن عائلة الرضوان قبل أن تتوفى.

بقى الجميع ينصتُ إلى (وفاء) وهي تحكي لهم حكايتها مع (عبد الرحمن).

حدقتْ عينا (سلمى) بذهول عندما علمتْ أنّ والدها الحقيقي هو بالفعل (أحمد الرضوان). ابتسمتْ، ثم ركضتْ إليه كالفراشة وضمّته قائلة:

– كنتُ أشعر أنّك أبي الحقيقي عندما رأيتك للمرة الأولى، حقًا كنتُ أشعر أنّي ابنتك.

قال بنبرة مفعمة بالأمل:

– وأنا تمنيتُ أن تصبح لديّ ابنة، ولكن ظننتُ أنّ هذا الأمر لن يحدث، ولكن يبدو أنّ القدر وقف معي هذه المرة أيضًا كما وقف معي بالمرات السابقة.

تركهم (عيسى)، ثم توجه نحو غرفته. شعرتْ (سلمى) لماذا هرب ولماذا هو حزين الآن. إنّه يشعر بالخذلان من أمه وكان يتمنى أن تضمه كما ضمّتْ والدهما قبل قليل؛ لهذا ذهب إلى غرفته الآن.

اتبعته (سلمى)، ثم طرقتْ باب الحجرة ودخلتْ. رأته جالسًا على الفراش وكاد أن يبكي، ولكن حاول أن ينتصب بثباتٍ عندما رآها.

جلستْ جواره، وقالتْ:

- أشعر بك حقًا وأعلم لماذا أنت حزينٌ الآن.

أردفتْ:

- نعم أمنا مذنبة؛ حرمتك منها وحرمتني من أبي، كلُّ واحدٍ منّا فقد حنان أحد الوالدين، ولكن هذا قدرنا ومهما فعلنا لن نستطيع أن نغير قدرنا، ولكن الذي في يدينا أن نغيره هو الحاضر؛ يجب أن ننسى كل شيء ونسامح والدينا، مهما فعلا يجب أن نسامحهما، قبل أيام قُلتَ لي أنّك سعيدٌ أنّي أصبحتُ أختك، حينها لم أكن بحالة تسمح لي أن أكون سعيدة بأي شيء، ولكن الآن حقًا أستطيع أن أخبرك أنّي أسعد إنسانة في الكون لأنّ لديّ أخ وسيم مثلك.

ابتسمتْ حين رأتْ والدتها داخل الغرفة، نهضتْ ثم تركتهما لحالهما.

ظلَّ جالسًا على الفراش وهي واقفة أمامه، لم يتفوّه بكلمة. نظر لها نظرة لهفة وألم وخذلان، كلّ ذلك معًا في آنٍ واحد. يريد أن يصرخ بأعلى صوته قائلًا: لماذا تركتيني؟ لماذا؟

- كان باستطاعتكِ أن تصطحبيني معكِ أيضًا، ولكنكِ اخترتِ أن تتركيني لحالي.

زفرتْ زفيرًا حانقًا، ثم قالتْ:

- مهما أخبرتك الآن لن أستطيع أن أبرر لك، إنّي مخطئة، كان لا يجب أن أتركك ولكن فعلتُ مع سلمى مثلما فعلتُ معك، تركتك لوالدك وقلبي كان يتمزق كلّ يوم من قلقي عليك، خشيتُ أن تصبح مثل عائلة أحمد الرضوان؛ قاسيًا وبلا قلب.. ولكن أيضًا لم يكن باستطاعتي أن أصطحبك معي، علمتُ أنّي حبلى بطفل آخر بالصدفة، وأحمد إن علم أنّ لديه ابن كان سيجبرني أن أتخلى عنه، وأيضًا عبد الرحمن شاكرًا تقبل سلمى، كيف

كنتُ سأجعله يتقبلكما انتما الاثنين؟ إنّك لا تعلم أنّي كنتُ أراقبك دائمًا، ومن حين لآخر كنتُ أذهب إلى المدرسة التي تدرس بها وأتابع مستواك الدراسي دون أن تعلم، أستاذة نجلاء التي كانتْ تدرس لك الرياضيات كانتْ تخبرني أنّك أذكى طالب لديها، قلبي كان يطير من السعادة عندما أعرف أنّك متفوق، إنّك لا تعرف كيف كنتُ أتألم عندما أراك أمامي ولا أستطيع أن أضمك! خشيتُ أن أذهب إليك وأسمع منك كلامًا سيئًا، أو أن تقول لي (إنّي ليس لي أم)، حقًا خشيتُ مواجهتك كثيرًا! ولكن ربي يشهدُ كم بكَيتُ لأنّك بعيدٌ عني، أقسم لك حياتي كانتْ يائسة من دونك.

تساقطتْ دموعه، وقال:

– كان باستطاعتكِ أن تعودي إلى أبي عندما علمتِ بأمر سلمى وتتزوجا مجددًا ونصبح عائلة سعيدة نحن الأربعة معًا.

– كيف كنتُ سأذهب إلى والدك ووالده قتل عائلتي؟ كيف كنتُ سأستطيع النوم ليلًا وأنا أعلم أنّ دم عائلتي على أيديهم؟ كيف؟

قال:

– وكيف أيضًا تركتِ طفلًا صغيرًا دون أمه؟ كيف؟

أردف:

– لا أعرف كيف سأنسى أنّي كنتُ في حاجة شديدة لاحتاوئك، ولكن أنتِ من منع عنّي هذا الاحتواء.

جلستْ أرضًا، ثم بكتْ بشدةٍ وقالتْ:

– أقسم لك لم أكن سعيدة يومًا واحدًا من دونك، آسفة! رجاءً اغفر لي! رجاءً!

حاول أن يتجاهل بكاءها وترجيها، ولكن ضعف أمام اشتياقه لها ولم يعد باستطاعته أن يكابر، يكفي أنّها تشعر بهذا الندم الآن وتترجاه بأن يسامحها.

اقترب منها، ثم ساعدها على النهوض، وقال:

– كنتُ أتمنى أن تساعديني على النهوض عندما كنتُ طفلًا صغيرًا كما ساعدتُكِ الآن! ولكن لا بأس، سأحاول أن أنسى أنّكِ تركتيني وحيدًا، سأحاول.

اقتربتْ منه، ثم ضمّته بقوة وظلّتْ تُقبّل رأسه وخدَيه، وقالتْ بحنان:

– سأعوضك عن كل شيء، سوف أغمرك بحناني حتى تمل منه، سأقضي الباقي من عمري كي أسعدك فقط يا حبيب قلبي.

قال:

– حسنًا، ولكن لديّ شرط.

– ما هو؟

– أن تعودي لأبي؛ لنعيش جميعًا في ذات المنزل معًا.

– حسنًا، ولكن هل والدك سيوافق؟

– نعم، أعلم أنّه ما زال يحبكِ، رفض أن يتزوج أي امرأة سواكِ وعاش سنواته الماضية يتذكركِ ويحدثني عن حبه لكِ وعن كل شيء حدث بينكما؛ لهذا أنا أكثر إنسان يعلم إلى أيّ مدى أبي يحبكِ.

خرجا إليه، ثم قال (عيسى) لولده على أمر الزواج؛ فلم يستطع أن يرفض أكثر لحظة عاش من أجلها في شبابه وأيضًا في كبر سنه، قال بفرح كبير:

– سنتزوج أنا ووفاء الأسبوع القادم.

أردف:

– ما رأيك يا سلمى أن تتزوجي أنتِ ورامز أيضًا معنا في ذات اليوم؟

حدقتْ عيناها، ثم قالتْ:

– لا، لستُ على استعدادٍ أن أتزوج الآن، أنا التقيتُ بك أنتِ وأخي قبل عدة أيام وأريد قضاء أوقات كثيرة معكما؛ لهذا فلنُؤَجل أمر زواجي برامز الآن، حين تأتي الفرصة المناسبة سنتزوج على الفور.

– حسنًا، كما تريدين يا ابنتي.

ابتسم (عيسى) لـ (سلمى)، وقال:

– وأخيرًا سنعيش جميعًا في ذات المنزل بعد كل تلك السنوات!

– نعم، وأخيرًا ستعود السعادة إلى قلوبنا!

***

{٦}

الفيوم

نزلتْ (زينب) ركضًا من غرفتها عندما رأتْ من الشرفة (أحمد) وقد كان يحمل حقيبة ملابسه، ربما سيرحل مرة أخرى!

توجهتْ نحوه، ثم حاولتْ أن تتمالك حالها، وقالتْ بنبرةٍ خائفة:

– هل ستسافر مرة أخرى؟

– نعم.

– لماذا لم تودعني؟

– أعتذر، إنّي لم أخبر أحدًا يا زينب، ولكن مخطوبتي مريضة، ويجب أن أعود إلى القاهرة لأطمئن عليها.

اتسعتْ حدقة عينيها وكأنّه قد أصابتها رصاصة في قلبها من كلماته.

قالتْ وهي تشعر بالذعر:

– هل أنت خاطب؟

– نعم.

– لكنك لستَ مرتديًا خاتمك؟

– نسيتُ خاتمي في القاهرة؛ لهذا لستُ أرتديه.

أردف:

– انتبهي على حالك يا زينب.

– وأنت أيضًا.

– وداعًا.

هاتفتْ (سلمى) على الفور وهي تنهار من البكاء، وأخبرتها بكل شيء حدث معها قبل قليل.

حاولتْ أن تشعرها بالاطمئنان، وقالتْ:

– لا بأس يا زينب، إنّكِ من البداية تعلمين أنّه لا يحبك، وعندما شجعتُكِ للارتباط به هذا لأنّي رأيتُ مدى تعلقكِ به، ولكن هذا لا يعني أنّه سيحبك كما تحبينه؛ أحيانًا نعشق من قلبنا إنسانًا بصدقٍ ونعيشُ بخيالنا معه قصة عشقٍ وهو لا يدري عنّا شيئًا أبدًا، حُبكِ له كان من طرف واحد؛ لهذا لا تغضبي من أحمد؛ ليس عليه ذنب؛ هو لم يفعل معكِ أي شيء يوحي أنّه يحبك، أنتِ من تعلقتِ بوهم حبّ الطفولة، يجب أن تحاولي أن تتخطي هذا الحب؛ اليوم أنتِ لستِ زينب الطفلة التي أحبتْ سارق البرتقال، أنتِ الطبيبة زينب التي يرغب فيها العديد من الرجال، وأنتِ من ستختار من هو الإنسان الذي ستكملين معه حياتكِ حقًا ويجعلكِ أسعد امرأة في الكون.

قالتْ وهي تبكي:

– ولكن ليس بتلك البساطة سوف أنسى أحمد، عندما أدرك قلبي ما هو الحب نبض من أجله هو فقط، التقيتُ في حياتي العديد من الرجال ولكن لم يؤثر بي أي رجل سواه، ماذا سأفعل يا سلمى الآن؟

– تألمي كما تشائين ، ألمكِ الآن سيزول مع مرور الوقت، حينها ستكون لديكِ الرغبة لأن تبدأي من جديد؛ لهذا أغلقي باب حجرتك الآن وابكي حتى تشعرين أنّ عينيك

جفتْ من البكاء، بعد ذلك ستدركين أنّ حبك لأحمد كان بالفعل وهم الطفولة.

- حسنًا، شكرًا لكِ.

***

المساء:

كان شاردًا يُفكر كيف سيقنع تلك العنيدة بأن تعود إليه، هاتفها قبل دقائق ولم تجبه، من أين لها بهذه القسوة؟ كيف ستستطيع أن تتزوج (رامز) وقلبها ينبض من أجله؟ هي لا تدرك أنها تقحم حالها الآن في أمرٍ ربما تندم على فعله العمر بأكمله، يجب أن تحسم أمرها وتدرك أنّ لا أحد سيحبها كما أحببها هو.

قطع شروده (محمد)، قائلًا:

- سأسافر يا بدر.

- لأول مرة تريد أن تسافر، ماذا دهاك؟ إنّك أكثر إنسان كان يتشاجر معي لأنّي سافرت، ما الذي جعلك تغير قرارك بشأن السفر؟

- لا يهم ما الذي جعلني أتغير، ولكن هذه رغبتي الآن ولن أرجع في هذا القرار أبدًا.

أردف:

- استطعتْ أن أُقنع أبي وسيدفع لي مبلغ من المال باقي ثمن بيع الأرض لأسافر إلى الكويت.

- هل وافق أبي على سفرك؟

- نعم.

– آخر شيء كنتُ أتوقع حدوثه أنّ أبي يوافق على سفرك.

– أبي تغيّر كثيرًا وأدرك أنّ كل إنسانٍ منّا لديه طريقه، وأنّه مهما فعل لن يستطيع أن يجبر أحدٌ منّا على البقاء، طالما كبرنا ليس باستطاعته أن يتحكم بنا كما كنّا صغارًا، وأنت علّمته هذا الدرس؛ أنّ من يريد الرحيل سيرحل ومهما فعلنا لن يبقى.

شعر بالذعر فجأة عندما تغير لون وجه (محمد) وكأنّه قد تجمد الدم في عروقه.

قال (بدر) بنبرة ارتباك: «ما الذي حدث؟».

قبل أن يجيبه دفعه بعيدًا، بعد لحظاتٍ سمع صوت رصاصة أصابتْ أخيه فجأة، وسقط أرضًا والدماء الغزيرة تسيل من صدره. كاد أن يركض وراء النمر، صديق الليالي السوداء، عندما رآه وهو يركض مهرولًا بعدما أطلق الرصاصة على أخيه، ولكن توقف عندما همهم (محمد).

اقترب منه، ثم قال والدموع تتساقط من عينيه:

– لماذا فعلتَ هذا؟ لماذا جعلتَ الرصاصة تصيبك بدلًا مني، لماذا؟ لماذا؟

قال بصوتٍ منخفض:

– قبل قليل أخبرتك أنّي سأرحل إلى الكويت ولم أكن سأعود أبدًا، والسبب هو أنّي أُحب سلمى، لم أكن سأستطيع أن أرى سلمى زوجة أخي في يوم من الأيام، سأراها فقط حبيبتي التي عشقتُ تفاصيلها أكثر منك، لهذا كان يجب أن يرحلَ أحدٌ منّا، وأنا الذي كان يجب أن يرحل، لهذا وقفتُ بوجه الرصاصة.

قال (بدر) بنبرة صوتٍ صارخة ويديه ترتجفان:

– رجاءً انهض وسأزوجك سلمى، لا يهمني أي شيء سوى أن تصبح بخير، رجاءً

انهض يا أخي! حقًا لن أكون حزينًا إن تزوجتها أنت! انهض يا محمد، رجاءً يا أخي لا تتركني لحالي!

قال وهو يلتقط أنفاسه الأخيرة:

- أحبك يا بدر، سأشتاق إليك كثيرًا.

ضمّه إلى صدره وصرخ بصوتٍ عالٍ بعد أن توقفتْ أنفاسه، لم يشعر بحاله إلّا صباح اليوم التالي.

في حجرةٍ في مستشفى في الفيوم، مُستلقٍ على السرير، و(زينب) جانبه.

قال:

- أين محمد؟

نظرتْ له بعينَين غائرتَين، وقالتْ:

- مات محمد وتركنا يا بدر، لم يعد هناك محمد في الدنيا!

- لا لا! رجاءً أخبريني أنّك تمزحين كما كنتِ تفعلين دائمًا! رجاءً أخبريني أنّ محمد مختبئًا تحت السرير وسينهض الآن ويفاجئنا كما كان يفعل دائمًا!

صرخ وقال بنبره الم :

- أريد أخي محمد، أخبِريه أن يأتي الآن.. لا، لن يتركني إلى الأبد! أنتِ تكذبين!!!

اقتربتْ منه، ثم حاولتْ أن تهدئه، وقالتْ:

- ادعُ من أجله كثيرًا، محمد سيبقى في قلوبنا وأرواحنا، أخي سيكون معنا دائمًا في ذكرياتنا.

***

المساء:

دخل إلى المنزل رأى والده واقفًا ينظر إليه بحدة، وقال بنبرةِ غضبٍ:

– هل شعرتَ بالارتياح الآن؟ أنتَ السبب في إيذائنا جميعًا، ضحينا بالأرض من أجلك ولكن لم نبالِ حينها؛ لأنّنا خشينا أن يصيبك مكروه، ولكن محمد ما ذنبه في كل هذا؟ خسر حياته من أجلك، منذ كنتَ طفلًا صغيرًا وأنتَ أنانيّ لا تبالي سوى لحالك، حسبيَ الله ونعم الوكيل!

أردف صارخًا في غضب:

– إنّك مثل البرتقالة الفاسدة، إن وضعتها في صندوق وسط العديد من البرتقال، ستُفسِد جميع ما بالصندوق، أنت مثلها؛ من يقترب منك ستكون سبب في هلاكه.

تساقطتْ دموعه بحُرقَةٍ وأكمل حديثه:

– اترك هذا المنزل، يكفي أنّي فقدتُ محمد بسبب أفعالك السيئة، ووجودك هنا ربما يؤذينا جميعًا.

نبرة صوته ارتفعتْ فجأة وهو يقول:

– هيا ارحل، لا أريد رؤية وجهك في منزلي مرة أخرى.

حاولتْ (زينب) تهدئة والدها ولكن لم تستطع. رحل (بدر) من المنزل وهو منكسرٌ بشدة، لم يأتِ في ذهنه سوى مكان واحد يذهب إليه، وهو الأقصر.

بعد عدة ساعات وصل إلى الأقصر، نظر إلى الساعة رأى الوقت متأخرًا كثيرًا، لا يستطيع أن يلتقي بها الآن؛ إنّها الساعة الواحدة صباحًا.

حسم أمره، ثم ذهب إلى أحد الفنادق في مدينة الطود، حجز حجرة ليوم واحد. صعد إلى غرفة رقم ٤٨. دخل إليها وأخرج هاتفه من جيبه الخلفي، وأرسل رسالة إلى (سلمى) كتب فيها أنّه يريد لقاءها حتى ولو للمرة لأخيرة، أرسل إليها عنوان الفندق وترجاها أن تأتي في مقهى داخل الفندق الساعة العاشرة صباحًا.

ألقى حاله على الفراش ونام حتى صباح اليوم التالي.

***

الساعة الثامنة ونصف:

استيقظ وفي ذهنه ضجيج كبير، ماذا سيفعل في حياته الآن؟ بالأمس خسر عائلته، وبعد ساعة سيلتقي بأكثر إنسانة أحبها ولكن بسبب أنانيته أيضًا خسرها وستصبح زوجةً لرجلٍ غيره، ظلّ يدعو الله أن تسامحه؛ إنّها الأمل المتبقي له في هذه الحياة الآن!

بعد مرور ساعة:

ظلّ جالسًا ينتظرها في المقهى بعدما تأكد أنّها قرأتِ الرسالة، كاد أن يفقد أمل أن تأتي، وبعد دقائق شعر أنّ هناك من وضع يديه على كتفه.

نظر إلى الوراء وهو مبتسم ويقول:

– سلمى، وأخيرًا أتيتِ.

اختفتِ ابتسامته فجأة عندما لم يجد (سلمى)، بل أنّها (شروق) ابنة عمها.

نظر لها بتعجبٍ، وسألها: «أين سلمى؟».

– أنا من قرأتْ رسالتك وليستْ هي، كانتْ في الأسفل مع عمي حين أرسلتَ الرسالة إليها وأنا كنتُ في الغرفة فقرأتُها وبعد ذلك حذفتها من على الهاتف، وانتظرتُ

حتى صباح اليوم التالي لأراك.

قال في غضبٍ:

– لماذا فعلتِ كلّ هذا؟

– الحقيقة أنّي أشعر بانجذاب كبير نحوك، وأتمنى لو أنّك تدعني أقترب منك وأنا أثق أنّك سوف تحبني كثيرًا!

أردفتْ:

– سلمى أخبرتني أنّك متزوج، أنا لا يهمني هذا الأمر؛ بل سوف أجعلك تنسى زوجتك هذه، أنا لديّ مال كثير وإن وافقتَ أن نتزوج سوف نذهب لنعيش عندكم في الفيوم ونشتري أرضًا جديدة لك؛ لتقيم عليها المشروع الذي تتمنى أن تفعله وسأكتبها جميعها باسمك.

– من أين عرفتِ بقصة المشروع؟

– سمعتك بالصدفة عندما مررتُ بجوار غرفة الضيوف في منزلنا، كنتَ تتحدث مع صديقك ياسين وقلتَ له أنّك تتمنى أن يصبح لديك مصنع كبير؛ لتصدير الفواكه والخضروات إلى جميع أنحاء العالم وأنّ والدك لن يوافق أن يعطيك الأرض لتقيم عليها مشروعك؛ لهذا تتمنى أن تشتري أرضًا لك وتقوم بهذا المشروع عليها، سوف أشتري لك الأرض وأيضًا سأعطيك مبلغ كبير من المال لتستطيع القيام به.

تنهد بعمق وقال:

– نعم، أنا أريد عمل هذا المشروع كثيرًا ولكن سأفعله من مالي الخاص وليس مال أي شخص آخر، أيضًا الذي لا تعلمينه أنّي طلقتُ زوجتي قبل أسابيع.

– حقًا هل طلقتَ زوجتك؟ هذا خبر رائع!

– هل تعلمي لماذا طلقتُ زوجتي؟

أردف:

– من أجل سلمى، سأتزوجها هي فقط، ومال العالم جميعه لن يجعلني أتنازل عن قراري بأن أتزوجها وسأقضي الباقي من عمري معها هي فقط.

– ولكن سلمى عادتْ لخاطبها السابق وسيتزوجا بعد عدة أشهر!

– أعلم ذلك، ولكن أعلم أيضًا أنّها تحبني أنا ولن تستطيع أن تحب رجل آخر؛ لهذا سأفعل أي شيء لتعود إليّ.

نهض وتركها لحالها، وتوجه نحو منزل عائلة الرضوان حيث تسكن (سلمى)، سئم من أمر الرسائل؛ فقرر أن يذهب إليها ويلتقي بها في منزلها مباشرة.

بعد مرور ربع ساعة وصل إلى المنزل، أخبر أحد حراس المنزل أنّه يريد أن يرى (سلمى الرضوان)، ابتسم له وقال:

– أهلًا بك يا بدر، أين باقي أصدقائك؟

بادله الابتسامة، قائلًا:

– لقد أتيتُ وحدي لأخبر سلمى بموضوع هام.

قال الحارس:

– لقد خرجتْ منذ قليل إلى مزرعة الموالح.

ثم أشار إلى جهة محددة، قائلًا:

– هناك عند تلك الأشجار.

توجه نحو تلك الأرض التي أشار إليها، بعدما أخبره أنّها جالسةٌ هناك الآن.

وصل إلى الأرض رآها أمام شجرة برتقال شاردةً، يعلم جيدًا في ماذا تفكر الآن؛ إنّها تتذكر اليوم الذي سقطتْ على رأسهما البرتقالة فيه، في هذه اللحظة باح لها بحبه؛ إنّها كانتْ أجمل لحظة في حياتهما هما الاثنين.

التفتَتْ للوراء حين سمعتْ صوته يقول بنبرةِ حنينٍ:

– هل أنتِ شاردة في هذا اليوم؟

حاولتْ أن تتمالك حالها لأنّ دموعها أوشكتْ أن تسقط من عينيها، ولكن استجمعتْ قواها، وقالتْ بنبرةٍ حادة:

– لماذا أتيت؟

نظر لها بحزنٍ وأجاب:

– أتيتُ للقائك، سلمى، يكفي عِنادًا، أنا طلقتُ زوجتي من أجلك، وأتيتُ إليكِ الآن لنبدأ من جديد، الجميع أصبح يكرهني وأبي طردني من المنزل، وأمي غاضبةٌ منّي بسبب موت أخي الصغير محمد.

– أعرف كل شيء، زينب هاتفتني وأخبرتني بالأمس كل ما حدث، وحقًا حزنتُ عندما عرفتُ بشأن موت محمد، إنّه خسر حياته من أجلك، إنّك السبب في كل هذا، هل كنتَ تظنّ أنّ أفعالك السيئة سوف تُمحى بتلك البساطة؟ ماضيك السيئ ركض إلى باب منزلك وتسبب في موت أقرب الناس لك، هل رأيتَ بشاعة أعمالك وأنانيتك واستغلالك لجميع من في حياتك؟ كل هذا كان من أجل المال، ما قيمة المال وضميرك

ليس مرتاحًا الآن؟ اذهب، لا أريد رؤية وجهك هذا، هل تسبّبتَ في قتل محمد والآن أصبح الدور عليّ؟

بعد ثوانٍ من التحديق، قال:

– سلمى، أنتِ مُدركة لما تخبريني به الآن؟ هل أنتِ مدركة لمعنى حديثك هذا؟

أردف:

– أنا تغيّرتُ وأقلعتُ عن كل شيء سيئ من أجلك، وأتيتُ الآن إلى باب منزلك لنمحو الماضي معًا ونبدأ بداية جديدة دون كذب أو خداع أو أنانية، فكري جيدًا، ربما تندمين على حديثك هذا لاحقًا.

– لن أندم أبدًا، ومن كل قلبي أقول لك الآن، أكرهك يا بدر، ولن أُصدّق أنّك تغيرتْ، مهما فعلتَ لن أستطيع أن أثق بك مجددًا.

– حسنًا، لن أجعلكِ ترين وجهي مجددًا.

جلستْ أرضًا وانهارتْ من البكاء بعدما تأكدتْ أنّه ذهب من أمامها، تمتمتْ لحالها قائلة:

– لن أسامحك بدر، لن أسامحك أبدًا! ستبقى مخادعًا دائمًا.

***

المساء:

كانتْ جالسةً على الأريكة في غرفتها هي و(شروق)، تفكر في كل ما حدث صباحًا. قاطعتْ شرودها (شروق) عندما دخلتْ فجأة وجلستْ على الفراش، وظلّتْ ترمقها من أن لآخر.

تعجبتْ (سلمى) من رمقها لها؛ فساقتها رغبتها وسألتها:

– ماذا بكِ؟

– أتعجب لأمركِ؟

– لم أفهم؟

– لماذا يحبك بدر إلى تلك الدرجة؟

– من أين عرفتِ بشأن حب بدر؟

قالتْ (شروق):

– مع أنّي لا أحبكِ أبدًا ولكن سأخبركِ كل شيء؛ لأنّ بدر حقًا يستحق كل خير، لم أرَ إنسانًا مثله أبدًا.

أخبرتْها بكل شيء حدث والحديث الذي دار بينها هي وبدر صباحًا.

نظرتْ إليها بسرورٍ، وقالتْ:

– ما تخبريني به الآن حقيقة؟ هل بدر رفض المال ولم يرِد أن يتزوجَكِ وقال أنّه لن يتزوج امرأة غيري؟

– نعم، هذا ما حدث، والحقيقة أنّي لم أكن لأخبركِ لأنّي أبغضكِ، ولكن عندما رأيتُ حالته صباحًا حزنتُ من أجله.

نهضتْ (سلمى)، ثم قبّلتْ (شروق) من خدها وقالتْ:

– وأنا أيضًا لا أُحبكِ، ولكنكِ تستحقين هذه القُبلة.

هاتفته عدة مراتٍ ولم يجب. علمتْ مكان الفندق من (شروق)، حملتْ حقيبتها ثم

ذهبتْ مهرولةً إلى الفندق. دخلتِ الاستقبال وسألتْ عن (بدر محسن ناجي)، أخبرها الشاب أنّه رحل قبل ساعة.

تنهدتْ بعمق، ثمّ هاتفتْ (زينب) وسألتها عنه؛ فأخبرتها أنّها لا تعرف عن أمره شيء منذ أمس وهاتفته عدة مراتٍ لم يجبها.

أغلقتْ مع (زينب)، ثم هاتفتْ (ياسين الأسمر)، قال:

– سلمى، جيد أنّكِ هاتفتيني الآن، بدر سيسافر إلى القاهرة اليوم ورغبته في الانتقام لمحمد استحوذتْ كل أفكاره، وأقسم أنّه سيقتل النمر اليوم ومهما حدث لن يتراجع عن قتله، وقال أنّه ليس لديه ما يخسره.

ارتطمتْ بـ رجُلٍ وهي تركض متوجهةً إلى محطة القطار في الأقصر، اعتذرتْ منه ثم سألتْه عن القطار المتجه إلى القاهرة قال أنّ أمامه عشر دقائق وسيتحرك وأنّه في الطرف الآخر. شكرته، ثم ركضتْ مرةً أخرى نحو القطار.

وصلتْ عندما أوشك القطار على الذهاب، صعدتْ مهرولةً، ثم ظلّتْ تسير في الممرات وتنظر إلى المقاعد ولدَيها أملٌ أن تجده.

تنهدتْ بعمقٍ عندما رأته جالسًا في أحد المقاعد بجوار النافذة، قالتْ لاهثةً:

– هل تسمح لي أن أجلس بجوار النافذة؟

اتسعتْ حدقة عينيه عندما رآها تقف أمامه، قال بتعجب:

– لماذا أتيتِ؟ أخبرتيني صباحًا أنّ كل شيء بيننا انتهى وأنّكِ لن تثقي بي مرة أخرى!

– نعم، لن أستطيع أن أثق بك مرة أخرى، ومع ذلك ما زلتُ أُحبك.

– كيف تحبين إنسانًا لا تثقين به؟

– إنّي أحبك وهذا كافيًا لأثق بك مجددًا ولكن مع مرور الوقت، ولكن إن كنتَ تريد أن أسامحك حقًا يجب أن تنسى أمر انتقامك من النمر، لو كل إنسان حصل على حقه بذاته سنكون في غابة؛ لهذا دع أمر مقتل محمد للقانون، وتأكد أنّ الله لن يسمح بالظلم والنمر سينال عقابه بالدنيا والآخرة.

– ياسين الأسمر هو من أخبركِ أنّي ذاهبٌ إلى النمر.

– نعم.

انتبهتْ إليه وهو ينظر إلى الخاتم الذي في يديها، خاتم خطبتها من (رامز). أزالته، ثم ألقتْ به من النافذة، وأخرجتْ من حقيبتها الخاتم الذي صنعه لها (بدر) من ورق الشجر بجوار شجرة البرتقال، وأعطته له.

نهض، ثمّ قام بتلبيسها الخاتم وضمّها أمام جميع الناس في القطار. خجلتْ عندما رأتِ الجميع ينظر إليهما باستغرابٍ شديد. نظرتْ إليه وهي تقول:

– سنبدأ من جديد، ولكن هذه المرة دون كذب أو خداع.

– وعدٌ سأكون صادقًا معكِ لآخر يومٍ في عمري.

أردف:

– وحتى تتأكدي من صدقي أريد أن أخبركِ بآخر أمر أخفيه عنكِ.

– أنت مرة أخرى يا بدر؟

– أنا لديّ ابنٌ عمره سبع سنوات!

لكمته على كتفه عندما ضحك، أدركتْ أنّه كان يمزح.

قالتْ:

– ماذا أفعل؟ سأبقى أحبك مهما فعلتَ، إنّك قدري.

– وأنتِ كل حياتي.

قال:

– ماذا سنفعل الآن؟ القطار تحرك ولن تستطيعي العودة إلى منزلكِ الآن.

– من الجيد أنّه تحرك؛ لأنّي لن أعود إلى منزلي؛ بل سنذهب إلى الفيوم ونحاول معًا أن نصلح العلاقة بينك وبين عائلتك.

– يا ليت كل شيء يصبح على ما يرام!

– لا تقلق، معًا سوف نحل أصعب الأمور، وأيامنا القادمة ستكون مليئة بالسعادة.

قال:

– عندما تصبح الأمور على ما يرام ويهدأ الوضع في منزلي، سأصطحب عائلتي إلى الأقصر وسنذهب إلى منزلك لنطلب يدكِ من والدكِ.

قالتْ:

– أحبك.

– وأنا أيضًا أحبكِ أكثر من أيّ شيء في حياتي.

تمت